قصة البيت

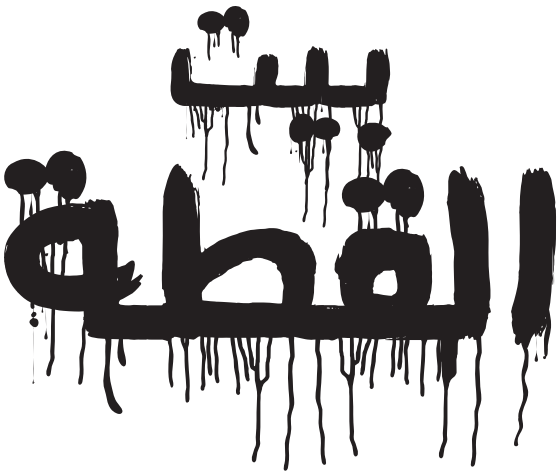

أحمد عبدالرحيم - قصة البيت (بيت القطة) ، رواية

رقم الإيداع : ٢٠١٧/٢٩١٨٢ ISBN : 978-977-798-108-8

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت إلا بموجب موافقة خطية من الناشر .

© دار الحلم للنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

Mob : 00201141824562

dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

بيت القطة

قصة

أحمد عبد الرحيم

الحلم
للنشر و التوزيع

إهداء

الي تلك القلوب النضرة الصغيرة والعقول المتلهفة للثقافة ،
الي تلامذتي الصغار الذين شجعوني ودعموني دعما هائلاً، أرجو أن أكون عند حسن ظنكم ، وأعدكم ألا أكتب كلمة تقل من مكانتي واحترامي في أعينكم ،أتمني أن تعجبكم القصة .

تمهيد

-هناك...

في قلب الصعيد ..

في محافظة أسيوط ..علي شاطيء النيل مباشرة.. تقع قرية العوامر.

-هي قرية مثل كل قري مصر ..لا تختلف عن مثيلاتها في شيء.. ولكنها تمثل بالنسبة لي جنة عدن علي الأرض ..
هذه البيوت ..هؤلاء الأشخاص ..هذه السماء وتلك الأرض.. هذه الحقول وتلك الحيوانات ..هذه كنوز من الذكريات الحميمة لا تقدر بثروات العالم في نظري.
-هذا مكان يصلح لكل أنواع القصص ..

-هل تري تلك الفتيات الخجولات البريئات وأولئك الفتيان الأقوياء الممتلئين حيوية وشبابا واحلاما وآمالا تملئ الآفاق ، القمر والنجوم اللامعة.. الخضرة والحقول ونسمات المساء

ورائحة الورود العابقة في جو القرية .. هذه قصة رومانسية بامتياز .

-أما الصراع علي حدود الأراضي الزراعية أو مشاكل الأطفال أو ما شابه فأنت تتحدث عن قتل وعن ثأر وعن قصة بوليسية دموية بلا شك .

-الشباب المهاجر الي الخليج والعائد بعضهم لتحسين معيشة أسرته وتقديم شيء ما لقريته أن أمكن ،تلك قصة كفاح وتضحية وهي أيضا موجودة بكثرة هنا .

-ولكني اخترت أن اتحدث عن نوع مختلف من القصص.. .نوع تعيشه وتشعره- لو كنت ريفيا مثلي -مع حكايات جدك عن أشباح الحقول التي طاردته بعد منتصف الليل عندما اضطر للذهاب هناك ليروي حقله...

-عن أشباح الذين ماتو حرقي أو غرقي أو قتلي وهي تخرج لك من مبني الوحدة الصحية ليلا,ذلك الكيان الغامض المظلم المرعب المتطرف الكائن علي أول طريق القرية وحيدا مخيفا ...

-عن حكايات أقاربك الكبار -وأنت طفل- عن الكيانات

المخيفــة الموجــودة في الحقــول ليــلا ..

-عن الجن والعفاريت التي تلبس المراهقين وتحتل أجسادهم...
-عـن الأشـباح الغامضـة التـي تحتـل ذلـك المبنـي الضخـم الغامـض شـبه المتهـدم الـذي يوجـد أيضـا عـلي طـرف القريـة .

- وأيضـا عــن قصــص الآثــار والتنقيــب عــن اللقيــة والاســتعانة بالجــن وذبــح الأشــخاص والــدم البــشري .

-هنــاك أيضـا جـزأ مــن القصــة يتحــدث عــن الأشــخاص غربــاء الأطـوار .. ربمـا كان هـذا هـو أكـثر الأجـزاء رعبـا لسـبب هـام ،هـذا شيء ليــس معتــادا ولا مشــهورا في الريــف ،تســتطيع أن تقــول أن الجـن والأشـباح وماشـابه رعـب معتـاد مألـوف ، أمـا هـذا فهـو غـير معـروف ولهـذا فهـو مخيـف عـن حـق .
ولكم أترك الحكم أي أجزاء القصة هو الأكثر رعبا .

****

- أمامك ثلاثة بيوت ...

- أيهم تختار لتدخله أولا ؟. ..

-بداية يجب أن نتفق علي مبدأ ..أنت معي.. أنت لي ، أنت مسلوب الإرادة ،لقد اخترت أن تدخل عالمي فلتطع أوامري ، سوف تفعل ما أطلبه منك ،ولكني أخيرك ..اقترب لأهمس في اذنك،دعني أخبرك عما ينتظرك في كل بيت وليكن ذلك سرنا الصغير ولك أن تختار أي مكان تطئ أولا وأي عالم تنغمس فيه. اقترب هيا .

-وش وش وش وش وش وش وش وش وش وش وش ..

-لمادا تغيرت ملامحك هكذا؟لمادا احمر وجهك بتلك الطريقة ؟ أنت تعلم أن هده ليست قصة أطفال ,هذه قصة رعب يا صديقي وسوف تعلم أني أجيد ما أفعل لذا لك أن تتصور أن أوقاتا عصيبة جدا تنتظرك معي ,لو كان قلبك ضعيفا لك أن تغلق القصة وتلقي بها وكأنك لم تفتحها من البداية,أما إذا أردت أن تغامر وتقرأ فهيا معي .

-اممم أنت أيضا في حيرة من أمرك ،إذن اقترب مرة أخري ...

-وش وش وش وش وش وش وش وش....

-هاه ..هل اتخدت قرارك ؟

أي البيوت اخترت ؟

-اخترت أن تدخل بيت القطة أولا؟

-إذا لـك مـا طلبـت ولكـن لتعلـم أن الأمـر ليـس كـما يبـدو مـن الاسـم ،حسـنا أضعنـا الكثـير مـن الوقـت في الثرثـرة وآن اوان بدايـة قصتنـا.

مقدمة

-تريد أن أحكي لك قصة عن الأشخاص غرباء الأطوار ؟ ..

- حسنا سوف أحكي لك قصة عن غرباء الأطوار ولكني أطلب منك أن تكون حذرا...

فقد تجعلك القصة تشك في كل الناس ..في صديقك أو جارك أو حتي أقرباؤك.

-غرباء الأطوار هؤلاء أشخاص لا يعبثون ،إنهم خطرون جدا ، قد تتعرض للأذي من أحدهم للأسباب أنت لا تتوقعها أبدا ..

-ماذا ؟؟ تريدني أن أعطيك مثالا علي أشخاص غرباء الأطوار في هذه القصة ؟

-لا لن أحذرك من الأشخاص الذين يعيشون وحدهم في بيوت منعزلة ولا يقومون بأي نشاط بشري تعرفه .. ولا من الأشخاص الودودين أكثر من اللازم ...ولا حتي من الأشخاص الذين تغيرو فجأة وأصبحو ... ماذا ؟ ليس هناك إلا هذا المصطلح بالطبع.. أصبحو غرباء الأطوار .

هناك آلاف الأسباب تجعلك تخشاهم ، لذا أطلب منك أن تنتبه جيدا وتصغي لما أحكي .

-نحن الآن في العام ١٩٩٨ ...

ذات مساء يوم خميس جميل...

-عائد أنا من كليتي حيث أدرس في جامعة المنيا ،لم أتغيب أكثر من أسبوع ولكنه بالنسبة لي مر كسنة ،أمشي في طرقات القرية ذاهبا الي بيتي ملقيا السلام علي كل من يقابلني .

الناس هنا كلهم أهل أو جيران يعرف كل منا جاره وذريته ومواشيه وكل شيء عنه، أعرف ذلك الكلب الضال الذي رفع رأسه لما رآني وهز ذيله هزة بسيطة مرحبا ..

أعرف تلك القطط التي تتصارع علي بقايا طعام ألقته زوجة عمي حسني- كل رجال القرية تناديهم بعمي أو خالي والعواجيز منهم سيدي ونساؤها بالمثل مع التأنيث أمام بيتهم...

هذه الترعة الضحلة المياه التي تمر في منتصف القرية...

تلك الشجرة...

هذا العجوز محني الظهر ...

جزع النخلة ذاك الذي يجلس عليه بعضهم للسمر ليلا ...

تلك النخلة التي قفز من فوقها أحدهم من سنوات عندما وجد ثعبانا في وجهه في أعلاها ...

كل تفصيلة صغيرة هنا لها معي ذكري حميمة .كلما غبت عن

قريتي قليلا اشتقت لها كثيرا ،قرأت ذات مرة أن أحدالعلماء أثبت فيزيائيا وجود ارتباط بين الإنسان والمكان الذي يولد به، وأظنه محقا الي حد بعيد .

-أمشي ببطئ مطمئنا علي مملكتي الحميمة.. البيوت القديمة، الترعة، شجرة التوت العجوز علي شاطيء الترعة ، البقال العجوز عم زين في بقالته الممتلئة ببضائع وأشياء في صناديق كرتونية فوق أرفف لم نعرف ماهي أبدا منذ أن كنا صغارا، أغلب من يشترون منه لا تتجاوز مشتراوتهم الشاي،السكر،الارز،المكرونة واحيانا قليلة المياة الغازية ،هذه الأشياء البسيطة التي يستهلكها أهل القرية .ياللروعة وعبقرية بلدتي تلك ،لا تسخر مني من فضلك ، أن التمشية هنا بالنسبة لي هي أجمل من التجول في شارع الشانزليزيه وسط حسناوات باريس ، لذا تجدني أمشي مستمتعا ببطئ.

-وصلت الي بيتي ،طرقت الباب ،فتحت أختي الصغيرة أسماء ذات السنوات الست ،تعلقت بأقدامي فرحة بعودتي وصاحت بأعلي صوت:

-أمي...عبد الله عاد.

دخلت البيت لأجدها تخرج علي عجل لتستقبلني في لهفة وشوق عارم ،كنت أنا الولد البكر الذي تحبه وتفخر به ولا يوجد بعدي إلا أسماء الصغيرة ،في الماضي كان هناك عاطف وكان هناك محمد ولكنهم توفو صغارا وتركو في روحها ندبات وجروح لا تلتئم . كنت ابنا بارا محبا لوالديه مقدرا للتعب والجهد والتضحية التي تبذل من أجلي ومن أجل إكمال دراستي الجامعية .أن أري أمي واحتضنها بجسدها الهزيل الذي نالت منه السنوات والظروف ،وأقبل يدها المعروقة ،هذا يساوي عندي كل ما في الدنيا .

-الأم هي تلك الكتلة المذهلة من الطاقة الإيجابية والحب والحنان والتشجيع والتحفيز ،تقريبا كل المشاعر الجميلة التي وجدت في الجنس البشري تجمعت في الأم.

دخلت وبعد السلام وزرف دموع الفرحة والتهليل من أسماء والسؤال الطفولي المستعجل المتلهف عما أحضرت لها من الكلية ، واخراج الحلوي التي تحبها وأعطيها لها لتفرح بشدة وتبتعد بكنزها الصغير.

سريعا كنت قد توضأت وصليت العصر قبل آذان المغرب وكان طعامي الذي أحب جاهزا ولكني فضلت أن أنتظر عودة والدي من الحقل للغداء معا .

- في غرفتي استلقيت علي سريري ، وظللت أتامل ببطئ كل ركن في غرفتي ،كان بيتنا من تلك البيوت الريفية التي بنيت قبل إنشاء السد العالي لكي تقاوم فيضان النيل الذي كان يغرق كل شيء حتي شوارع القرية - كما حكي لي والدي -كان النصف الأسفل من الجدران قد بني بحجارة ضخمة جدا يبلغ عرضها مترا ،والباقي بني بطوب أحمر . السقف المرتفع جدا الذي عقد من أخشاب طولية وعرضية بطريقة متقنة لا تدخل منه شمسا ولا يتسرب منه ماء مطر . الغرف الواسعة التي تشعرك براحة نفسية ، تلك النافذة الكبيرة ذات القضبان الحديدة والخشب القوي رغم قدمه والافريز العريض الذي يمكنك أن تضع عليه العديد من الأشياء ،دولابي الخشبي العتيق الذي يحوي ملابسي، تلك الأرفف الخشبية التي صنعتها خصيصا من أجل كتبي التي أعتبرها ثروتي الحقيقية ، ليست كتب الجامعة والدراسة بالطبع ولكنها تلك الكتب والروايات الثقافية التي أعشقها وأدفع فيها كما أملك من نقود ،كان هذا هو زمن روايات الجيب حيث كان محمود سالم والمغامرين الخمسة هم نجوم الثمانينات ثم اكتسح الساحة رجل المستحيل والرائد نورالمقدم ممدوح من المؤسسة العربية الحديثة التي اكتسحت عقول كل هذا الجيل تقريبا,ثم جاء العجوز رفعت

اسـماعيل ليحـدث ثـورة في أفكارالشـباب المـصري والعـربي .

في الجامعـة تفتحـت عينـي عـلي نجيب محفوظ ويوسـف السـباعي وغيرهـم ثـم حسـنين هيـكل والكتـب السياسـية الفخمـة الضخمـة ، عـم مينـا بائـع الكتـب القديمـة بجـوار كليتـي الـذي كنـت اشـتري منـه بجنيهـاتي القليـة مـا اعتـبره ثـروات مـن عيـون الأدب .
-اغمضـت عينـاني مـع حبـل الذكريـات ، ونمـت نومـا خفيـا اسـتيقظت منـه عـلي صـوت أبي وهـو يتسـاءل بلهفـة :
-أين عبد الله ؟
-هببـت واقفـا وخرجـت بسرعـة مـن غرفتـي أسـلم عليـه ، الأب هـو -باختصـار شـديد- ذلـك الجبـل القائـم في البيـت ، وابي كان جبـلا عظيـما.

-تناولنـا العشـاء ، الـكل صامـت يصغـي وأنـا أحـكي لهـم عـن حكايـات الطلبـة والكليـة والأسـاتذة والدراسـة والإمتحانـات ، عـالم غامـض لم يعرفـه أحدهـم لـذا فـإن كل حكاياتـه طازجـة غـير معتـادة ولا مكـررة ، يسـمعون بدهشـة واكبـار وشـعور بالفخـر مـن والـدي لأنهـم اسـتطاعو ادخـالي الي هـذا العـالم الرائـع .
-كنـت أشـعر بشـوق شـديد لـكل الأشـياء ،لـكل الأماكـن ولـكل

الأشخاص الذين في حياتي هنا ، ولكني أيضا كنت مرهقا جدا من سهر وتعب ومذاكرة وامتحانات آخر العام لذا فضلت أن أقضي السهرة مع أسرتي نتبادل الحكايات والأخبار وأمامي الأجازة طويلة أفعل فيها ما أشاء .

عند الحادية عشرة كنا جميعا نرغب في النوم ، دخلت غرفتي،لدي عادة لا استغني عنها وهي أن اقرا قليلا قبل النوم، اخترت قصة من قصص المغامرين الخمسة الذين أعشقهم ، لم تكن اول مرة بالطبع اقرؤها لكني احبها ،قصة تدعي حبل الرمال،سافرت مع المغامرين الي ساحل البحر المتوسط وتعرضت معهم لمخاطر جمة وقابلت معهم رجال غرباء اشرار يقومون بنشاط غامض من المؤكد أنه غير قانوني ،كنا وحدنا مجموعة صبية نواجه المخاطر الصعبة بينما صديقنا الحميم المفتش سامي..هناك بعيدا جدا, في المعادي .

-اختطفت لوزة وجري البحث عنها في الرمال.. في الأحراش.. في الظلام..

في مكان وعالم مجهول تماما بالنسبة لنا ،فجأة سمعت صوت يشبه صوت مخالب حيوان تخمش خشب ,تكرر الصوت أكثر

مـن مـرة ,كان قريبـا جـدا مني،انتبهـت ,قمـت مفزوعـا مـن النـوم ، نظـرت خلفـي حيـث النافـذة المفتوحـة، هنـاك تشـويش عظيـم أمر بـه الآن ولكـن يبـدو أني اسـتغرقت في النـوم اثنـاء القـراءة ووقعـت القصـة مـن يـدي أرضـا، اللمبـة الصغـيرة في غرفتـي لا ترسـل ضـوءا قويـا في الغرفـة الواسـعة الكبـيرة ولكنـي عـلي أي حـال كنـت قـد اعتـدت القـراءة عليهـا ،نظـرت الي النافـذة.. لوهلـة خيـل الي أني أري أربعـة عيـون تراقبنـي ..اثنتـان قريبتـان غـير بشريتـان واثنتـان بعيدتـان بشريتـان ، دعكـت عينـي وهـززت رأسي لأسـتفيق وأميـز بـين الحلـم والحقيقـة ،وعـدت أنظـر لم يسـتغرق كل ذلـك أكـثر مـن ثـواني قليلـة، لم أري إلا العينـين اللامعتـين الغريبتـين القريبتـين منـي, ركـزت جيـدا ، تجمـد الـدم في عروقي،لسـت جبانـا ولا أخـشي شـيئا ولكـن الموقـف كلـه مرعـب وغـير مفهـوم وأنـا مشـوش التفكـير ثقيـل الـرأس ،دقيقـة كاملـة حتـي اسـتوعبت وادركـت أن مـا ينظـر لي ليـس إلا قطـاً أسـوداً لا يظهـر منـه بوضـوح في ضـوء الشـارع الخافـت إلا عينيـه المرعبتين،تلاقـت نظراتنـا ،مـا هـذه الوقاحـة , لا يبـدو أنـه خائـف منـي ،قمـت بحركـة عنيفـة نحـوه فقفـز مـن النافـذة وفـر الي الشـارع ,أخـيراً بـدأت أتمالـك نفـسي وأفهـم مـا يجـري ولكـن بسرعـة نظـرت للخـارج الي تلـك النخلـة الباسـقة التي تواجـه نافـذتي عـبر الشـارع والتـي تقـف ككائـن خـرافي في ليـل

مظلم كان هناك عينان بجو ارها في خلفية القط ،لكن لا شيء هناك الآن ...أظنني كنت متوهما.

-شربت ماء ونظرت الي ساعتي لأجدها الثانية بعد منتصف الليل، استلقيت في فراشي بعد أن أطفات النور وأغلقت النافذة التي كنت أتركها مفتوحة في الصيف طلباً لبعض الهواء المنعش. نظرت الي سقف الغرفة أفكر حتي استغرقت في النوم مرة أخري, هذه المرة كان نوما بلا أحلام حتي الصباح.

-كان يومي التالي حافلا، أديت صلاة الجمعة في المسجد القريب.. قابلت بعض الأصدقاء ،تحدثنا قليلا بعد الصلاة علي وعد باللقاء آخر النهار لنمر علي باقي الأصدقاء في الطرف الآخر من القرية ونجلس أو نتمشي قليلا في الحقول ليلا كما هي عادتنا. عدت الي المنزل وأنا عائد تذكرت ماحدث ليلة أمس ورغم أني ابتسمت خجلا من نفسي بسبب كل هذا الرعب الذي سببه لي قطاً ،الاانني لم انسي العينين الاخرين ،لم تكونا عيني قط ،المشكلة أني لااستطيع أن اتاكد أو اميزبين الحقيقة والوهم في تلك اللحظة المشوشة ،ور غم ذلك قبل أن ادخل بيتي عرجت علي تلك النخلة الشامخة أمام منزلي علي بعد

امتار من نافذتي في تلك الساحة الفضاء الموجودة أمام البيت والتي تخلو من أي شيء فيما عدا بضع شجرات نخيل وتعتبر مرتعا للكلاب وأحيانا القطط .

لم أكن أتوقع وجود شيء بالطبع وبالفعل لم يكن هناك أي شيء يذكر ، فقط آثار أقدام منتشرة هنا وهناك ،لا شيء غريب في الأمر هذه أرض فضاء يمر منها كثير من الأشخاص ويلعب فيها أطفال كثيرة ،أختي الصغيرة ليلي نفسها لا تلعب إلا هنا هي وصديقاتها من نفس عمرها من الشارع أو من شوارع مجاورة. اصطدمت عيناي مرة أخري بعيني القط الأسود المنقوش بنقط بيضاء صغيرة زادت من منظره بشاعة ورعبا ،كان ينظر لي في ثبات تلك العينين الليتين تميلان الي الاصفرار واللامعتين، هذا حيوان بهيم لا تدرك ما خلف عينيه لا تدرك فيما يفكر ولكن تلك النظرة ليست أبدا نظرة حيوانية غبية ،نظرت له ونظر لي مليا كان ثابتا لم يتحرك ، لا أعرف لماذا شعرت بالقلق من هذا القط الوقح الجرئ ،قررت أنا أن اتجنب نظراته ولكني لم انساها..عدت الي منزلي هذا وقت الغداء في القرية بعد صلاة الجمعة ، الذي عادة ما يكون غداء دسما ، اعتاد الناس هنا أن يكون الجمعة وقت طهو اللحوم ، بعضهم لا يفعلها إلا في

هـذا اليـوم بعضهـم مرتـين أو ثلاثـه أسـبوعيا وبالطبـع يرجـع ذلـك الي القـدرة الماديـة لـكل شـخص وبشـكل عـام فـإن أغلـب النـاس هنـا رقيقـي الحـال، للفقـر هـم اميـل مـن الـثراء. بعـد الطعـام جلسـنا نشـاهد التلفـاز معـا قليـلا ثـم توجهـت الي غرفتـي ،ناديـت عـلي اختـي الصغـيرة قـررت أن اسـالها بشـكل غـير مبـاشر عـن هـذا القـط.

-أسماء ،انتي تلعبي كثيرا في تلك الساحة . واشرت بيدي إليها .

-نعم يا أخي .

-مع من ؟

-مـع فاطمـة بنـت عمـي هاشـم واخوهـا محمـد ومنـي بنـت خـالي محمـود .

-إذا انتبهي لنفسك جيدا .

-من ماذا ؟

-أي شيء أو أي شـخص ،انتـم أطفـال صغـار ويمكـن أن تتعرضـو لـلأذي بسـهولة .

-لا يوجد شيء مؤذي هناك ، لو رأينا كلاب ، نجري كلنا الي بيتنا

صمت قليلا كاني أفكر ثم قلت بعد تردد :

-هل رايتي قطة سوداء هناك .؟

-نعم أعرفها ، قطة ليست كباقي القطط ، نحن جميعا نخاف منها ونجري بعيدا لو رأيناها .

- لماذا؟

-شكلها وعينيها مخيفتان ، وليست مثل أي قطة أخري، تشعر أنها تريد أن تتكلم.

ثم مالت الي وأخفضت صوتها وتغيرت طريقة كلامها وكأنها تفشي سراً قالت: هل تعرف قطة من هذه ؟

- ؟؟؟؟

-هذه قطة عم جاد .. جاد المجنون .

*****

-في المساء كان اللقاء حافلا مع أصدقاء العمر ، مر عليا عزيز، وذهبنا معا نمر علي باقي أصدقاؤنا محمد ، علي ، زين.. بعضنا لم يكن موجودا في القرية ، اجتمعنا كالعادة في منزل الشافعي، الشافعي كان أحد أصدقاؤنا لكنه كان يختلف عنا في بعض الأشياء ، مثلاً هو لا يقرأ ، رغم كل محاولاتنا المستميتة معه إلا أنه لم يستطع أن يكمل قصة واحدة ، يمكنه فقط تصفح مجلة أو جريدة سريعا ، ولا يخرج معنا غالبا للقيام بالنزهة الليلة المفضلة لنا في طريق المؤدي الي المدينة ، يفضل البقاء في البيت، بالنسبة له الذهاب الي المدرسة يوميا كان عذاب كعذاب ال

فرعـون تسـألني :

-لماذا؟؟

-اه ..نسـيت أن اخـبرك أن الشـافعي يقـضي أغلـب حياتـه نائمـا، هـذا هـو أكـثر الأنشـطة المفضلـة لديـه ولـك أن تتخيـل كيـف تجـري حواراتنـا معـه كلـما طلبنـا منـه أن يـأتي معنـا الي مـكان مـا أو أن نفعـل شيء مـا معـا .. رده الوحيـد الـذي لا يغـيره :

-اذهبو أنتم ، أنا مرهق ، سوف أنام قليلا.

قليـلا تلـك بالنسـبة لـه تعنـي سـاعات طويلـة ، لا أعـرف لـه أي نشـاط يمارسـه لـكي يجعلـه مرهقـا بهـذه الطريقـة ، ورغـم كل هـذا النـوم إلا أنـه لم يكـن بدينـا بشـكل مبالـغ ، ممتلـئ الجسـم قليلا،طويـل القامـة، امـرد ,غـير أن أكـثر مـا يميـزه كان ابتسـامة ترحيـب دائمـة ، ابتسـامة مـن القلـب نابعـة وليسـت ابتسـامة مصطنعـة، تـدل فعـلا عـلي طيبـة قلـب وكـرم كبـير .

جلسـنا نـشرب الشـاي ونتبـادل الأحاديـث في صخـب ،ثمـة كثـير مـن الأحاديـث والاخبـار عنـد كل منـا ،ليرويهـا للآخريـن كنـا مـن أعـمار متقاربـة منـا مـن يـدرس في الجامعـة ومـن هـو في المرحلـة الثانويـة ومـن أنهـي دراسـته الفنيـة ولكـن مـا يجمعنـا أكـثر مـما يبـدو كاختلافـات بيننـا ، نحـن جميعـا نقـرأ ونتبـادل مـع بعضنـا مالدينـا مـن قصـص الغـاز وروايـات مصريـة للجيـب ومجـلات

رياضيـة وقصـص عالميـة مترجمـة ،الجلسـة صاخبـة نريـد تنظيـم دورة كـرة قـدم ودورة شـطرنج هـذا الصيـف ،هنـاك الكثـير والكثـير لـكي نفعلـه .

بعـد جلسـة حـوار صاخبـة تناولنـا فيهـا الكثـير مـن أكـواب الشـاي. خرجنـا نتمـشي كعادتنـا .أثنـاء مرورنـا بـين شـوارع القريـة كان هنـاك بيـت يجـري فيـه العمـل ، هـدم وبنيـان ، منـزل أحـد أهـل القريـة يدعـي عـم محمـود ، ابنـه محمـد مـن عمـر مقـارب لنـا ، في الواقـع نعـده أحيانـا أحـد الأصدقـاء ولكنـه ليـس مقربـا منـا بمـا يكفـي، أنهـي دراسـته في الثانويـة الفنيـة وذهـب للعمـل بالقاهـرة يعـود كل شـهر ليعطـي لوالـده مـا كسـبه ،يبـدو أن أمـوره الماديـة عـلي مايـرام تمامـا.

-هناك امور غريبة تجري في البلد تلك الايام .

قالها عزيز مشيرا الي دار عم محمود واكمل حديثه

-أنهم يقولون أنهم يعيدون بنيان بيتهم .

- من أين ؟؟

-ربك يعلم .

-كلنا نعرف» البير وغطاه» .

-لا تعـرف لهـم كلمـة ،هنـاك ا نـاس غربـاء عن البلـد تـرددوا عليهم اكـتر مـن مـرة يزورونهـم يقولـون أنهـم اقربائهـم مـن المنيا،وقـد

توفي أحد كبارهم وترك لهم ميراث كبير هناك.

نظرنا الي بعضنا في شك وواصلنا مسيرنا ،صمت قليلا إلا من صوت خف النعال

الطريق الذي يفصل قريتنا عن المدينة كان طريقا اسفلتيا ولكنه قديم وليس كما يبدو لك أن تتصور ، هو طريق قرية وليس مدينة.. طويلا مظلما في أغلبه إلا من ضوء القمر والنجوم البعيدة علي أوله وبعد حوالي مائتي متر من القرية توجد الوحدة الصحية الغامضة الكئيبة لا تستيطع أن تمر أمامها دون أن يقشعر بدنك عندما يتبادر الي ذهنك ذكريات الموتي وقصص الأشباح المشتعلة والأشباح التي ترتدي السواد ولها أقدام ماعز في الواقع قصة أقدام الماعز قصة ساحقة في ادبيات الرعب المتوارث في كل الريف المصري حتي أنني مقتنع تماما أن أي شبح يجب أن يكون له أقدام ماعز ،أن شبحا لا يملك تلك الاقدام في الواقع لن يكون إلا مسخا رقيعا لا يخيف طفل.

تلك الأشباح التي تطارد الناس ليلا حين تنفرد بأحدهم، يخرج بعضها من الوحدة الصحية ،لذا عندما تمر أمامها ليلا يقشعر بدنك سواءا كنت وحيدا أو حتي كان بصحبتك جيش الأسكندر نفسه ،قد تتجنب النظر إليها ، قد تلقي بعض الدعابات الساخرة عن قصص الأشباح في الوحدة الصحية لإضحاك رفاقك

وإظهار مدي بأسك ولا مبالاتك بقصص وخرفات أهل القرية، ولكنك رغم كل ذلك خائف ياصديقي وأنا أعلم أنك تبالي وتخاف مثلنا جميعا ،كلنا يعلم ذلك ، ظللنا نسير نتبادل النكات والضحكات والأحاديث في صداقة حميمة ، نسمات الربيع الرائعة ، رائحة الحقول ، أضواء النجوم البعيدة ، صوت سيارة أجرة تمر كل فترة ليست بقصيرة عائدة الي القرية أو مغادرة الي المدينة، هذا جو تتمني أن تقضي حياتك فيه أو تبقي في تلك اللحظة للأبد ،لا تتمني أن تنتهي أبدا .

-في اليومين التاليين جرت الأمور علي نفس المنوال ،كنت أذهب مع والدي الي الحقل ،اجلس تحت شجرة النبق العجوز الحبيبة, اقرا قليلا واساعد والدي ،وفي المساء مع الأصدقاء. بدانا ننظم بطولة شطرنج شاركنا فيها العديد من شباب القرية ،استمرت نزهنا في القرية وعلي النيل ، كنا نذهب أحيانا لساعات طويلة لممارسة الصيد في النيل ،ثم نعود الي البيت بثروتنا الصغيرة،وبكل فخر اضع ما تم اصطياده أمام و الدتي قائلا:

-العشاء اليوم سمك.

-رأيت القط أكثر من مرة يحوم حول منزلنا ،ولكني شعرت

أنني بالغت في تصوراتي عنه ، مجرد قط بائس يبحث عن طعام في أي مكان .

-ذات مرة وأنا خارج من منزلي قابلته ، صامتا.. غامضا.. نظراته غريبة ، مشيته لا تشعر بها ، بالطبع أنا هنا اتحدث عن عم جاد .. بطريقة غريبة ككل شي فيه ألقي عليي السلام:

-اذيك يا أستاذ عبد الله.

- أهلا ياعم جاد ، تفضل .

القي السلام ونظر أمامه ولم يزيد كلمة ومضي الي حال سبيله انتظرت قليلا حتي إختفي عند منزله الذي يوجد في آخر الشارع علي أطراف القرية بين الحقول .

كلنا نعرف قصة جاد منذ طفولته وهو شخص غريب ، يكبرنا بنحو عشرون عاما أي أنه تقريبا في الأربعينات من عمره، لم يكن- وهو طفل- يلعب مع الأطفال كما أخبرونا الكبار، لا يتكلم كثيرا ،خرج من التعليم في الصف السادس الابتدائي ، يقضي أوقاتا طويلة في النظر الي السماء والتأمل، كلنا نخشاه، بعض الكبار يشفقون عليه ، يقال أنه مريض، ذات يوم من سنوات طوال-كنا أطفال وقتها -انتابته حالة من

الهياج الشديدة وثار ثورة كبيرة حطم علي أثرها منزله، ثم خرج في الشوارع يهزي ،خاف الناس علي أنفسهم وبيوتهم ، أبلغو الشرطة وجاءت سيارة مستشفي الأمراض العقلية ، كان حدثا جللا في القرية .

اقتادوه الي المصحة العقلية في القاهرة وبقي هناك سنوات ثم عاد الي القرية في الواقع لا تدري هل هو مرض نفسي أم عقلي ، أنت لا تتحدث هنا عن قرية يسكنها فرويد ، كبلر، آدلر ويانج ، أنت تعلم حقيقة الناس هنا ياصديقي ،أي اختلال نفسي أو عقلي بأي درجة .. صاحبه يطلق عليه مجنون أو مجذوب ,لانملك رفاهية الكثير من الالقاب والمسميات نحدد بها درجة مرض الشخص ،المهم أن جاد قد ازداد عزلة وغرابة اطواربعد عودته من مستشفي الأمراض العقلية.

أصبحت لا تراه كثيرا ، فقط يذهب في الصباح الي فرن الخبز الموجود بالقرية ، يحضر بعض الأرغفة ويعود الي بيته، أحيانا تقابله في منتصف نهار صيف شديد الحرارة يمشي ساهما, لا تعرف الي أين هو ذاهب أو من أين هو قادم ،ربما قابلته أو شعرت به يمر في الطريق بعد منتصف ليلة شتاء شديدة

البرودة حالكة الظلمة، هذا رجل يترفع عن التأثر بتقلبات الجو وتلك التفاهات التي نحسب لها حسابا.

-مات والده وهو صغير ثم و الدته بعده بعدة سنوات،ترك له والده بعض قراريط الأراضي الزراعية التي يؤجرها ويعيش علي الجنيهات القليلة التي تأتي منها ,وبقي جاد وعمته العجوز في تلك الدار وسط الحقول والتي اضطر لبنائها بعيدا الي حد ما عن باقي بيوت القرية وعن مضايقات الأطفال ونظرات الشك والريبة واحيانا الخوف التي تطارده من عيون الكل,أثر الابتعاد قليلا ،غير أني أذكر أنه عندما كنا أطفالا كنا نذهب اليه وهو الذي يجيد الرسم إجادة تامة، وتلك كانت موهبة ولد بها، كنا نطلب منه أن يرسم لنا تلك اللوحات الورقية التي نزين بها فصول مدرستنا مقابل قليل من المال ، راجت تجارته جدا لفترة فكان كل طلاب المدرسة يذهبون اليه لعمل لوحات لهم، وكان يتفنن في ذلك في الواقع ويخرج رسوما رائعة، لكنه انقطع بعد ذلك وتوقف عن الرسم, لا أعرف لذلك سببا.
- ذات يوم منذ أربع سنوات تقريبا استيقظت القرية علي خبر غريب جدا ، جاد ذهب الي دار العمدة وأخبره أنه كان ذاهبا مع عمته الي شرق النيل لكن وقبل ركوب المعدية التي توصل

بـين ضفتـي النهر،انزلقـت قدمـا عمتـه ولم يتسـطع أن يمسـكها وسـقطت في النيـل وجرفها التيـار ،اهتـزت القريـة كلهـا عـلي الخـبر جـاءت الشرطـة وجـاء الغواصـين التابعـين لهـا ولأيـام ظلـو يبحثـو عـن جثـمان السـيدة العجـوز ولكـن دون أن يعـثرو عليـه ، لم يتهـم أحـد جـاد بـشيء رغـم غرابـة الموضـوع إلا أن الشرطـة لم يكـن لديهـا دليـلا لـكي توجـه لـه اتهـام مـا, لم يكـن هنـاك دافـع ظاهـر لـكي يقتـل جـاد عمتـه أو يخفـي جسـدها.

- بعـد مـوت عمتـه زادت وحدتـه وعزلتـه، أصبـح النـاس يتحاشـونه ويخافـون عـلي أطفالهـم منـه ولكنهـم يشـفقون عليـه ويقدمـون لـه الطعـام ، مـع الوقـت تأكـد الجميـع أنـه لا ضرر منه فلـم يعودو يلقـون لـه بـالا ،هـذه قصـة جـاد.. لم تكـن النهايـة ولكـن يبـدو أنهـا كانـت بدايـة لقصـة خطـيرة جـدا وأحـداث مـرت بالقريـة كان جـاد في قلبهـا .

عندمـا عـدت الي بيتـي بعـد سـهرتي مـع الأصدقـاء وجـدت أسـماء تنتظـرني ولديهـا ماتخـبرني بـه .

أسماء: جاد المجنون سأل عليك .

؟؟؟-

-وانـا ألعـب أمـام المنـزل أنـا والأطفـال كان قادمـا مـن بعيـد مـن

بيتـه يمـشي بطريقتـه الغريبـة ,ينظـر امامـه وكانـه لا يـري أحـد ولا شيءعنـدا وصـل قريبـا منـي ,فجـأة توقـف واسـتدار ونظـر لي وقـال:

-أسماء

الأطفـال كلهـم خافـو منـه وفـرو بعيـدا،كان قريبـا منـي وينظـر في عينـي مباشرة,لماسـتطع التحـرك مـن الخـوف ،اقـترب منـي ,عينيـه منظرهـا يخيـف.

تسـارعت انفاسـها وهـي تحـكي, بـدأت اهتـم أكـثر للحديـث, سـالتها:

-وبعد ذلك ,ماذا قال لك ,أو ماذا فعل معك ؟

-لم يفعـل شـيئا ,فقـط طلـب منـي أن اخـبرك أنـه يريـدك أن تذهب اليـه في بيتـه ,يريـدك في شـأن مـا .

-الم يخبرك ماذا يريد مني ؟

-لا ,قـال ذلـك وعـاد يكمـل طريقـه بمشـيته الغريبـة تلك,ظللـت واقفـة مـكاني لحظـات ,ثـم بكيـت كثيرا ,لقـد شـعرت بالرعـب منـه ,هـل هـو فعـلا يـأكل الأطفـال الصغـار ؟

-هههههـه،لالا لا اطلاقـا ,لا تخشـيه هـو انسـان طيـب وليـس مجنونـا ولا تقـولي عليـه مجنـون مـرة أخـري ولكـن لا تحتـكي بـه ولا تحدثيـه .

-حاضر .

عرفت أمي ماحدث ،حذرتني منه كلنا نعرف تاريخه المرضي ووحدته المريبة .

****

-ظللت كثيرا جدا أفكر وأتساءل ، ماذا يمكن أن يريد مني، اعتصرت ذهني لأحاول الوصول لإجابة منطقية ولكن دون جدوي ثم استسلمت لليأس ,أن هو إلا وقت قصير وأعرف ماذا يريد.

- في اليوم التالي، بعد العصر كنت واقفا أمام منزله الموجود بين الحقول ،بيت صغير مبني من طابق واحد،ولكن تصل اليه الكهرباء والماء ،تمشي في مدق ترابي قصير بين الحقول حتي تصل اليه، بيت حديث البنيان مقارنة ببيوت القرية تسارعت دقات قلبي قليلا وأنا أمام الباب ،رفعت يدي لاطرقه ولكنه فتح ويدي معلقة في الهواء قبل أن تصل اليه ،وبرز منه وجه جاد ،نظرت اليه وتمالكت أنفاسي وأنا اقول مرتبكا :

-ازيك يا عم جاد ،أسماء قالت لي أنك سالتها عني.

-اهلا يااستاذ عبدالله.

افسح قليلا واكمل: ادخل

-دخلت مترددا، أشار لي الي كنبة خشبية، من المشهور وجودها في كل بيوت الريف و قال:

-تفضل ،اجلس هنا .

جلست في غرفة واسعة نظيفة ارضيتها طين جاف دون بلاط، جلس علي كنبة أمامي ، لا شيء في الغرفة سوي الكنبتين، قلة مياة وضعت علي افريز نافذة تطل علي الحقول ، ولا شيء آخر، لا أثاث لا شيء علي الإطلاق.

-نظرت اليه قليلا وجدته ينظر الي بنظرات ثابتة ،نحيف هو جدا،لكن ملابسه نظيفة ،بشرة سمراء مثل كل أبناء الريف ، يدين معروقتين شعر قصير جدا ،شارب محلوق ولحية نابتة ، يرتدي جلبابا أبيض خفيف وخفين خرجت أصابع قدمه منهما للأمام،أظافر قدميه لا تقلم ،بعضها أخذ شكلا غير بشريا ،ولكن لا يذهب عقلك لبعيد بعض الناس هنا كذلك ،ثم حدثني عن تلك العينين الثابتين اللامعتين ،لا تقرأ منها شيئا ،لا تعرف إذا كان ينظر اليك أم ينظر داخلك أم ينظر عبرك الي ما خلفك ، لحظات صمت ،ترددت قليلا ثم قلت:

-أخبرتي أسماء أنك سألتها عني.

لم يرد مباشرة فقط صمت قليلا ، ثم قال:

- أعملك شاي ؟

-لا شكرا ،لا تتعب نفسك,شربت حالا في البيت .

صوت دخيل هامس ولكنه مزق الصمت ،نظرت بجواري الي الباب الذي يؤدي الي داخل المنزل فاصطدمت عيناي به ،القط الأسود إياه .ينظر الي بثبات ، تجرأت وطرحت عليه السؤال : هل هذه قطتك يا عم جاد ؟

-نعم .

ساد الصمت المكان مرة أخري، قررت أن أكسر هذا الحاجز من الصمت مرة أخري فسألته؟

-اليس عندك جهاز تليفزيون ؟

لم يرد بالكلام ولكنه أشار إشارة رأس تعني: لا

-راديو ؟

نفس ال إشارة

-هل أنت من هواة الكتب والقراءة ؟

اجابة سلبية أيضا .

كنت مصرا علي كسر حاجز الصمت ,هذا الصمت مع مثل ذلك الشخص يخيفني ,هذه المرة عدت أسأله :

-إذا فقد عدت للرسم ؟

لم انتظر رده ولكني أكملت بحماسة :

هـل تتذكـر عنـما كنـت ترسـم لنـا موضوعـات الرسـم واللوحـات في المدرسـة ؟ وقتهـا كان المدرسـين يعطونـا الدرجـات النهائيـة ، رسـوماتك كانـت رائعـة حقـا ،هـل تتذكـر عنـما رسـمت لوحـة لعزيـز واشـترك بهـا في مسـابقة وحصـل علي مركـز أول عـلي الإدارة؟ طالمـا كنـت فنانـا يـا عـم جـاد .

-لا رد أيضـا، شيء مريـب ومحـير لم يعـد لـدي إلا أن أسـأله مبـاشرة مـاذا يريـد منـي ،القـط ينظـر الي بثبـات ظننتـه سـوف يـرد ،بـدا القلـق يسـاورني، أسـوا الأوضـاع الإنسـانية عـلي الإطـلاق أن تجـد نفسـك في وضـع عالـق، وقتهـا تقـول لنفسـك مثـل مـا أقـول الآن :

-ليتنـي لم آت الي هنـا مـن الأسـاس ، أو ليتني أسـتطيع أن اقوم لأفتح البـاب وأخـرج الي عـالم البـشر الأسـوياء . مـن تحـدث عـن ذبحـه للأطفـال وأكلـه للحـوم البشر؟،هـذه حكايـات طفوليـة تافهـة, تقـال لمـن هـم في سـن أسـماء لإخضاعهـم وجعلهـم يسـمعون الـكلام ، لكنـي بـدأت فعـلا أقلـق.

صمت ،صمت ,صمت

أفكاري مضطربة أتساءل: وماذا بعد فجأة وجدته يقول :

-كنت أريد منك خدمة .

اووووف ,ها قد جاءت اللحظة الرائعة ,أخيراً تحدث الصنم .

رددت بسرعة :

-تحت أمرك ،تفضل .

-أنا أعرف أنك تحب الكتب والقراءة .

غريب جدا اتجاه الحوار لم أتوقع أبدا ذلك ولكن ...

-نعم ، هذه حقيقي .

- أريد منك أن تبحث لي عن كتاب وأنت في المنيا.

لم أرد ولكن بدا علي وجهي وعيناي علامات التعجب ..

أما هو فقد كان يلقي بالجملة ثم يصمت وكأنه يري تأثير الحوار علي ، أكمل :

-اسمه كتاب الموتي .

-كتاب الموتي الخاص بالفراعنة ؟؟!!!

-نعم ,هو ذاك .

لم أجرؤ علي السؤال عن السبب ،أفكاري مضطربة الي حد مذهل،لا أعرف كيف أصف لك ذلك ،تخيل أنك عدت الي بيتك وجدت جنكيز خان هناك متوسدا أريكتك ، ماهو شعورك وقتها ؟

ثمة شيء ما غير منطقي ، غير واقعي ، غير عقلاني ، لم أرد .

صمت ،صمت ،صمت .

-هل ستسأل عنه من أجلي ؟

-بتؤدة رددت :نعم .

-وبتردد اكملت :... ،لكن ؟

-لا تخشي شيئا ,ابتعه مهما يكن سعره ,هل تريد نقودا الآن ؟

-ليس موضوع نقو.....

قاطعني :هل ستسافر الي المنيا قريبا ؟

رددت باستسلام :

-الأسبوع القادم أن شاء الله لكي أري النتيجة .

أدخل يده في جيب الجلابية وأخرج مبلغا كبيرا ووضعه بين يدي قائلا:

-خذ هذه النقود معك .

-لكن ...

لو لم تجده في المنيا ولك زملاء في مصر (يقصد القاهرة)يمكنك أن تطلب من أحدهم .

عندئذ وقف منهيا الحوار.

وقفت بدوري وقد فهمت ،سلمت عليه وخرجت من عنده مذهولا .

****

-بمجرد خروجي الي الطريق، شعرت براحة عنيفة ،رغم أنه لم يبد أي بادرة عنف أو محاولة أذي إلا أن الموقف كله كان غريبا.

عدت الي البيت ،سألتني والدتي:

- ماذا كان يريد منك جاد ؟

-يريدني أن أحضر له شيئا من المنيا ؟

-شيئا ؟؟

- نعم .. كتاب .

- ؟؟!!!

دخلت غرفتي ساهما أفكر قررت أن أتحدث مع أصدقائي في المساء عندما أقابلهم .. وقد كان ،عندما اجتمعنا في منزل الشافعي كعادتنا دار بيننا حوارا حوله.

-هو شخص غريب جدا.

-نعم ولكن هل هو خطير على الناس يعني ؟

-لا أعتقد، منذ سنوات طويلة وهو عائش وسطنا، لم نر منه شيئا سيئا، أنت تعلم ذلك جيدا.

-لنكن محددين...أنت تقصد أن أحدا لم يعلم أنه ارتكب شيئا سيئا؟

-وماذا عن اختفاء عمته أو وفاتها بشكل غامض مازال يشكل لغزا حتي الآن ؟

-الشرطة نفسها لم تتوصل لشيء،لا شيء يدينه ،ولا منطق لتورطه في قتلها.

-أحيانا ما تحدث أشياء غريبة في البلد ولا يعرف أحد لها تفسير ،وكونه عائش في عزلة لوحده ,لا أحد يزوره ولا يدخل بيته هذا أيضا شيء لا يطمن.

-كما أنه تغير كثيرا أيضا في الفترة الأخيرة ،أصبح اكثر انطوائية، حتي لتشعر أنه كائن فضائي ، فجأة تجده أمامك ولا تعرف من أين أتي ولا إلي أين ذهب .
-ويمكن أن تمر أياما طويلة دون أن تراه في القرية.
-ثم ها هو يطلب منك أغرب طلب يمكن أن تتوقعه منه... كتاب الموتي.

- السؤال هو، ماذا سيفعل به ؟هل أصبح فجأة مثقفا هكذا وليست أي ثقافة ،ثقافة تاريخية فرعونية.
- هههه،أحضر له بالمرة موسوعة مصر القديمة ربما نافس زاهي حواس. أو ربما اكتشف اثارا في بيته .
- انتم تهزلون, يبدو انكم غير مقدرين للامر،ماذا يعني أن

يطلب كتاب الموتي وبهذا الاهتمام ؟؟

- هناك شيئ غير منطقي في الموضوع.

-لذلك فانا سوف اعود لزيارته في الغد.

- لماذا ؟

-اليوم اخذتني المفاجاة من كل ناحية ،منه ومن المكان وحتي من قطته الغريبة ثم زاد الطين بلة طلبه للكتاب اربكني وفاجاني اكتر ،لكن في الغد سوف أذهب وأنا مستعد له تماما.

-هل يذهب أحدنا معك ؟

- لا ،لا أريده أن يشك في شيء ،سوف أذهب اليه بحجة أني لو لم أجد الكتاب هل احضر له كتابا آخر.

-جيد جدا ،إذا انتبه لنفسك وسوف ننتظر أن تخبرنا بما جري هناك.

-في نفس الموعد تقريبا بعد العصر، كنت ازوره ، مجرد أن وقفت علي الباب ودون حتي أن أطرق وجدته يفتح الباب، واندهشت أيضا، لنقل أنه في المرة الأولي كان يتوقع زيارتي وانتظرني وماذا عن هذه المرة .

ورغم ذلك فقد كنت مستعدا ورابط الجأش الي حد ما ،لم يبدو عليه أي اندهاش لرؤيتي .

مشكلة هذا الرجل أنك لاتعرف ولا تستطيع تفسير نظرة عينيه ولا تعبيرات وجهه أبدا ،لم أعرف فيما يفكر ، ولم أستطع قراءة ملامحه ،جلست في نفس الموضع السابق ، وجلس هو أيضا في نفس موضعه ،هذه المرة عندما عرض علي الشاي ، لم أرفض ، وجدتها فرصة جيدة لتفقد البيت قدر الإمكان ، دخل ليعد الشاي ،أخيراً تخلصت من نظراته القوية التي تحاصرني، تفقدت جيدا الغرفة لا شيء هناك جديد عما قبل ، قدرت أن المطبخ يبعد قليلا عن الغرفة التي أجلس بها تسللت علي أطراف أصابعي وتوجهت الي الباب الذي يؤدي للداخل، توقفت أحاول اختلاس النظر للداخل ،ثمة ممر يؤدي الي المطبخ والي غرفة أخري وفي نهايته يأتي ضوء النهار من السلم المؤدي لسطح البيت ،لا يوجد شيء كثير ولكن ما هذا؟...هناك تمثال صغير الحجم غريب الشكل ،وضع علي جانب الطرقة علي مائدة صغيرة ،أعتقد أن هذا ليس مكانه،راودتني الشكوك..كتاب الموتي وتمثال قديم ،هل يعمل جاد في تجارة الآثار بشكل سري؟ لا لا هذا غير ممكن.. لا حالته المادية ولا تفكيره ولا أي شيء يدل علي ذلك أبدا.

فجأة اعتقدت أني سمعت صوتا بشريا يتنحنح...اصغيت السمع

جيـدا.. لا هـذا ليـس جـاد ,ليـس صوتـه اطلاقـا ، هـل ....، فجـأة وجدتـه واقفـا أمامـي ينظـر لي نظراتـه الثابتـة الوقحـة بعينيـه المخيفتـان،لا أعـرف مـن أيـن أتي,تجمـد الـدم في عروقـي ، نظراتـه كمـن ينظـر الي شـخس ضبطـه متسـللا في بيتـه ،عـن القـط أتحـدث بالطبـع ،كـم أخـشي هـذا الكائـن ، نظـرت لـه قليـلا ثـم آثـرت العـودة لمـكاني.

-غـير مطمـئن ولا مرتـاح اطلاقـا لهـذا القـط الغريـب ،راودني هاجس أنـه ربمـا يخـبر جـاد أننـي اتفقـد بيتـه. دخـل جـاد يحمـل أكـواب الشـاي ،هـذا الرجـل يخيفنـي بالفعـل ، هـل ألمـح في عينيـه نظـرة شـك أم تلـك نظـرة يقـين أننـي أحـاول كشـف سراً يخفيـه عنـي لا أعـرف هـل هـو موجـود أم هـو مجـرد وهـم يجـول في خاطـري.

قـدم لي كـوب الشـاي وجلـس يرتشـف رشـفات مـن كوبـه السـاخن جـدا ،تظاهـرت بالانشـغال بالشـاي إلا أنـه بـادرني بالسـؤال :

-هل سألت عن الكتاب بهذه السرعة ؟

-لا, أنـا لم أذهـب بعـد الي المنيـا ،لكـن جئـت أسـالك لـو لم أجـد كتـاب الموتي،هـل أحـضر لـك أي كتـاب عـن الفراعنـة ؟

-لا ،أريد هذا الكتاب فقط.

ثم خفت صوته ونظر حوله في توجس ،والتمعت عيناه بنظرة غريبة واقترب مني بجسده مائلا نحوي دون أن يقوم من مكانه وقال :

-هم طلبوه مني ،لو لم أحضره ،لا تعرف ماذا يمكن أن يحدث لي,يجب أن يكون معي.

تصلبت قليلا ,فاجأني أيضا رد فعله وطريقته ,تظاهرت بأني قد أدركت خطورة الأمر فاقتربت منه وأنا أسأل بصوت شبه هامس:

-من هم ؟

-أشار إشارة غامضة تحتمل أي شيء أو أي مكان ورد :

-هم .... هناك .....

نظر حوله بتوجس وأكمل :

-لنغلق الموضوع ,قد يكونو يراقبوننا ،لا يجب أن يعرف أحد سرهم أبدا .

ما أن تلفظ جاد بتلك الجملة وقد فهمت أنها بارانويا .

لم أسأله من هم ،لم أسأل لماذا ،في الواقع صمت تماما ،تراجع هو للخلف في جلسته لم يضف حرفا ، صمت غريب ساد المكان ,لا يقطعه إلا صوت رشف الشاي ..

ففففففففففففففو.

ففففففففففو.

الشاي يرشف .

خششششششششش،،خششششششش

القـط الغاضـب لا أعـرف لذلـك سـببا يخمـش بمخالبـه خشـب البـاب أو هـو يلعـب لا أعـرف .

ففففففففففففو

ففففففففففففففو

-خششششششششششش،خششششششششش

نظـرة مـن جـاد للقـط ، تلاقـت عيناهـما ورأيـت ذلـك بوضـوح ، توقـف عـما يفعـل وتـواري عـن الأنظـار داخـل البيـت .

-فووووووو،كرك

-فووووووو،كرك

انتهي الشاي ووضعت الأكواب .

النظرات لا تتلاقي

صمت

صمت

صمت

امممممممممممممممم

هـذا صـوت غريـب قـادم مـن مـكان مـا ،اعتقدتـه مـن الداخـل ، ولكـن أيـن البـشر هنـا سـوانا ،هـل هـو هـذا القـط ؟ في الواقع هذا البيت يثير رعبي بكل من فيه .

-اضطـرب جـاد قليـلا عنـد سـماع الصـوت, رأيـت ذلـك في نظراتـه، فجـأة وقـف بطريقتـه الغريبـة إيذانـا بانتهـاء الجلسـة ، فوقفـت بـدوري ،لـو كان هـذا شـخصا طبيعيـا لكـن أقـل بـشري عـلي وجـه الأرض ذوقـا ، ولكـن مـن قـال أنـه طبيعـي ،ربمـا عـد بـين المـرضي النفسـيين كمعلـم الاتيكيـت لأطفـال الأسرة المالكـة البريطانيـة ،عـلي أي حـال وقبـل أن أنـصرف جـاءت النجـدة عـلي هيئـة صـوت مـن المسـجد القريـب ،غريـب هـذا ليـس وقـت آذان ،الصـوت بعيـد الي حـد مـا غـير واضـح المعـالم ،أصغيـت اليـه ،وأصغـي هـو أيضـا ،في عينيـه نظـرة غريبـة أيضـا لا أفهمهـا ، لمـاذا لا أراه مندهشـا لأي شيء أو متفاجئـا بـه. انصرفـت لأري مـا هنالـك عـلي وعـد أن أبحـث لـه عـن الكتـاب ،وعندمـا عـدت وجـدت الخـبر الـذي زلـزل القريـة .

-فاطمـة ،فتـاة صغـيرة مـن سـن اختـي أسـماء ،في الواقـع هـي صديقتهـا، كانتـا تلعبـا معـا في السـاحة المواجهـة لبيتنـا ،تقـول والـدة فاطمـة أنهـا أرسـلتها لتحـضر لهـا شـيئا مـن البقـال ولكنهـا

خرجت ولم تعد ،بحث أهلها عنها عند الجيران وصديقاتها ولكن لا أثر لها،كان من المعتاد إذا إختفي أحد الأطفال أن يذيع المسجد ذلك لإعلام الناس للبحث عنه ،ساد القرية جو عام من القلق، اختفت الفتاة الصغيرة منذ الظهر تقريبا والآن اقتربنا من المغرب ، وقت طويل،لو أنها موجودة في أي مكان برغبتها لظهرت حالا. في مثل تلك القري والتجمعات السكانية الصغيرة ليس باختيارك أن تشارك في الأفراح والشدائد ،أنت أحدهم ،الكل تقريبا متحدين ,بسرعة عدت الي بيتي لأستيقن الخبر، شعرت بالقلق علي أسماء أختي، وجدتها بجوار والدتي ، سألتها عن فاطمة ولكنها لم ترها اليوم ولا تعرف عنها شيئا.

عند بيت فاطمة تجمع الكثير من أهل القرية ممن عرفو الخبر,بسرعة قسمنا انفسنا مجموعات لكي نمشط القرية والحقول حولها ،الشمس في لحظاتها الاخيرة في هذا العالم،الوقت القادم وقت خطير في هذا المكان ،أنت هنا لست في المدينة حيث كل بقعة مضاءة ويسهل الوصول إليها ،لا هنا العكس ، الليل هنا يعني الظلام والغموض ،يستحيل أن تفتش كل مكان في القرية وحولها .

-كلنا يعرف الفتاة فاطمة وقد عرفنا من والدتها أنها كانت ترتدي جلبابا اصفر عندما اختفت ،بعض الناس قرورو أن يفتشو البيوت والأماكن المهجورة في القرية والاحتمال المطروح أنها لسبب ما ذهبت الي إحداها ربما لعبت هناك وغلبها النوم ،أو حدث لها إصابة ولا تستطيع الحركة ،بعضنا ذهب الي الحقول المحيطة بالقرية من ناحية الجنوب وبعدها بمسافة ٥٠٠ متر توجد قرية أخري ،فريق ثالث ذهب ناحية الغرب وهي أيضا حقول ،أما الفريق الأخير فقذ ذهب ناحية الطريق القادم من المدينة .

-فكرت أنه لا يمكن استبعاد أي احتمال وان كانت هناك أسباب لخطف الأطفال صعب جدا أن تضعها في حسبانك هنا ،أولا احتمال الثأر غير وارد هذه طفلة صغيرة والناس هنا عندهم شهامة حتي في القتل والثأر ورغم ذلك فإن أهلها مسالمين ولم يعرف عنهم أذية أحد بأي شكل وليس بينهم و بين أي شخص عداوة ،احتمال الاغتصاب ،لا هذا مستحيل في مثل ذلك المجتمع الريفي المغلق،أما موضوع تجارة الأعضاء فأنت تهذي عندما تتحدث عنه هنا .

-كنت من الفريق الذي قرر تفتيش الأماكن المهجورة الغامضة

في القرية ،كنا نسابق الزمن قبل هبوط الليل والظلام بشكل تام،كنت أنا وعزيز و اثنان اخران من أبناء القرية منهم محمد الشاب الذي ورغم الارهاق البادي عليه من العمل في الهدم والبنيان في منزلهم إلا أنه قرر أن يرافقنا في البحث عن الفتاة ، بدأنا من طرف القرية حيث بعض البيوت الحديثة التي يبنيها بعض شباب القرية الذين يعملون في الخليج ويعودو لكي يشتري بعضهم أراضي غالبا ما تكون زراعية يبني عليها ثم تبدأ رحلة طويلة من الإجراءات مع الدولة لمحاولة الحصول علي تراخيص بنيان وإدخال المرافق ،بضعة بيوت قليلة غير مكتملة البنيان ،هناك علي مقربة في قلب الحقول ،وعلي مسافة قريبة جدا من النيل يوجد ذلك البيت الغريب الذي ظل لسنوات قصة القرية وحديث أهلها ليل نهار ،صاحبه سافر والده منذ فترة كبيرة-

كان وقتها - طفلا الي امريكا وعاش هناك ،ومنذ بضع سنوات قليلة عاد, هو الدكتور عمر الي قريته،استرد أراضي والده التي كان يؤجرها ويتابعها له أحد رجال القرية العواجيز ويضع له الايجار في حساب في البنك ،مات الرجل وقبلها ماتت زوجته وعاد الابن الوحيد،دكتور عمر كما يدعي ،لا يعرفون في أي تخصص هو دكتور ،فقط عاد واسترد أراضي والده ،يؤجرها

بمعرفته وقد اقتطع منها جزءا بني فيه تلك الفيلا الفخمة الغريبة معماريا علي بناء الريف ،رجل غامض وحياة غامضة تماما ،لم يري له طفلا ولا زوجة ،من يقوم علي خدمته فتاة افريقية لاتتحدث العربية إلا قليل وتلك كانت اعجوبة أخري في القرية،وبوابا عجوزا هو نفس الرجل الذي كان يؤجر لهم الأرض ،يعمل كخفير للبيت ويقوم بشراء الطلبات اللازمة لسيد البيت ،ويتعامل هو مع كل من له مصلحة مع الدكتور ،كثير من الفلاحين حاول يقابل الدكتور ولكنهم فشلو تماما قوبلو بردود جاهزة من العجوزعلي شاكلة :

-الدكتور مشغول جدا ،

ماذا تريد وسوف اخبره ،

-وردود أخري مطاطية من تلك النوعية ,الآن عرف الجميع أنه لا يقابل أحد ،فلم يعد أحد يطلب مقابلته ،إنهم حتي لا يرونه في صلاة جمعة ولا في أعياد ولا مناسبات ،أصبح لا أحد يقرب الفيلا إلا من سوف يبيعه شيئا أو من أجل الإيجار وكان هؤلاء يتعاملو مع العجوز فقط.

-كان علينا أن نبدأ بهذا البيت ،نعلم أننا لن ندخله ولكنه اجراء طبيعي في مثل تلك اللحظة ،لا يجب ترك أي شبر من

القرية لا نبحث فيه ،طرقنا الباب ،مندهشا خرج لنا العجوز . اعرفه جيدا بالطبع ولكني لم أره عن قرب منذ زمن ،نظرت اليه جيدا وعرفت لماذا يشعر الأطفال بالرعب من عجوز مثله ، ولك اترك شعورك وانت تواجهه ولكن في البداية دعني سريعا أصفه لك ،عجوز تجاوز السبعين من العمر, لوحت الشمس بشرته بشدة، أصلع مع قليل من الشعر علي جانبي رأسه طويل ،عليه آثار قوة بدنية لا تزال بادية رغم السن ، أسنان نخرة ماتبقي منها أسود لونه من فعل الشاي الثقيل والمعسل ،أما عن عينيه فحدثني عن الرعب ،عين قد طمست تماما والأخري صغيرة تلمع كعين وحش أسطوري لم يخلق بعد، يستطيع بنظرة الي عينيك أن يتجاوز عينيك ويصل الي عقلك وروحك نفسها ،يرتدي جلبابا طويلا من الصوف يصل حتي الأرض, داكن اللون رغم حرارة الجو. دعني أحدثك أيضا عن تلك المشية الثقيلة التي تعتقد أنها تزعج الجن نفسه ،يتحرك مثيرا هالة حوله مخيفة,هالة معنوية مادية تنتج عن الاحتكاك المثير لاطراف جلبابه بالارض مما يثير بعض الغبار حوله ،هذا رجل اقرب للزواحف والوحوش الاسطورية،تلك الاصابع في قدميه غريبة الشكل التي لاتستطيع بسهولة تمييز احدها عن الآخر ولاتمييز اللحم عن الجلد عن الاظافر ،تشعر أن قدميه تقبض

علي عنق موضعها من الأرض ليست فقط تطأه ،لا أعتقد أن أي كيان جني أو عفاريتي يستطيع أن يصمد أمام وطأة قدم هذا العجوز ،سرحت بخيالي قليلا تصورته يتناول غداءه من لحم الأطفال اللذيذ الذي يشويه علي فحم قوالح الذرة وأغصان الشجر الجافة ،ثم يصنع لنفسه كوبا من الشاي الأسود الثقيل علي الفحم المتشبع بدهن الأطفال ويستخدم بعضه ليحبس الأكلة الدسمة بحجرين من المعسل بينما يكون كلبه الذي لا يقل غرابة عنه منهمكا في تناول بعض العظام البشرية التي القاها له وهو يحرك ذيله في تلذذ واستمتاع .

ظهر العجوز من الباب نصف المفتوح ومن خلفه ظهر رأس الكلب الذي اقحمه ليري هو أيضا ما هناك ,نظرات شك تتقلب في وجوهنا جميعا ,دلته ملامحنا ووجومنا علي خطورة الأمر ،نظر متسائلا ،بادره أكبرنا سنا :

-فاطمة بنت عم أحمد تائهة، ندور عليها ،ونحن نبحث عنها, ألم ترها في هذه الأنحاء يا سيدي ؟

أكملت أنا :هي طفلة في السابعة تقريبا ترتدي جلبابا أصفر اللون.

نظرته بعينة الواحدة الثقيلة لا زالت تتقلب في الوجوه ,ببطئ وهدوء رد :

-لا ، لم أري فتيات هنا هذا اليوم .

لا أعرف لماذا لم ألمح في نظرة عينه الوحيدة ولا في ملامح وجهه ولا في طريقته في استقبال الخبر ذلك الكم من الدهشة والقلق الذي من المفروض أن يكون عليه عند سماع خبر مماثل ،هو حتي لم يتوقف ويعيد الكلام ويتساءل عن مزيد من التفاصيل كعادة من يتلقي خبرا مماثلا .
هممممم غريب رد الفعل هذا.

حدثتني نفسي ولكن ربما سنوات عمره التي تجاوزت السبعين قد أمدته بقدر من الأحداث والوقائع والمصائب والأخبار السيئة, جعلت لا شئ في هذا العالم قادر علي إدهاشه.
-خرج بجسده كاملا وانسل خلفه كلبه الأسود ووارب الباب بسرعة وحذر كأنما لا يرغب حتي أن يمتد بصر أحدنا الي داخل الفيلا بمجرد نظرة عابرة. نظر الينا الكلب بشراسة ليست معتادة في الكلاب التي مثله ,هو ليس كلب حراسة من ذلك النوع الشرس ولكنه من كلاب القرية التي في أغلبها أليفة .
قال العجوز :
هناك أطفال شياطين ,يأتو هنا لكي يقذفو شجر الفاكهة

بالطوب,يسببون ازعاجا شديدا واحيانا خسائر في الفيلا .

ومشي معنا علي امتداد سور الفيلا من الخارج والذي كان مبنيا بارتفاع ثلاثة أمتار ،في مؤخرة الفيلا توجد حديقة غناء ، ممتلئة بشجر الفاكهة المثمر ،المانجو والجوافة والبلح والليمون والبرتقال وغيرها ،في الواقع فإن هذه الاشجار أعطت للمكان رائحة رائعة، ومع نسمات الريح كانت تصل الي الطريق فكان كل من يمر منه يستنشقها باستمتاع ،وكانت تلك الحديقة محط أنظار وإغراء لبعض أطفال القرية فيأتون إليها لمحاولة الحصول علي أي ثمار وذلك من خلال التسلل وقذف فروع الاشجار النافرة للخارج من السور بالطوب،وعندما يطاردهم الحارس العجوز ،مفتعلا أكبر قدر من ضجة مع أقل قدر من الحركة بالطبع لكبر سنه وصعوبة حركته ويطلق عليهم كلبه الشرس ،كانو عندما يرونه يفرون منه وكأنهم يفرون من شياطين الجحيم ،كان منظرهما مرعبا- العجوز والكلب - بالنسبة لهم . لم ينسو أبدا تلك المرة التي تمكن فيها الكلب من ساق أحدهم وعضه فاضطر أهله الي اصطحابه للوحدة الصحية لياخذ واحد وعشرون حقنة في بطنه ،بالنسبة للأطفال فإن كلمة حقنة نفسها هي الرعب بعينه .

-أخذنا جولة حول السور نفتشه ونفتش الحقول المجاورة ولكن لا شيء هناك ولا أثر للفتاة .

-هناك في الفيلا ومن خلف احدي النوافذ،وقف الدكتور عمر يراقب ما يحدث في صمت كان الظلام قد زحف علي القرية إلا أضواء النجوم البعيدة وبعض عواميد الإنارة التي لا يعمل منها الا القليل ،عدنا ناحية البيوت الحديثة وعاد العجوز والكلب نحو الفيلا . وعند دخولها أغلق الباب خلفه بعناية وتقدم بخطوات ليجد الدكتور عمر وقد وقف عند الباب الداخلي المفتوح للفيلا وأشار اليه فتقدم منه ووقف علي مسافة غير بعيدة وبجواره وقف الكلب وقد وضع زيله بين ساقيه واحني رأسه وكأنه يستمع هو أيضا لأوامر السيد, بينما وقف العجوز بأدب ،بادره الدكتور بالقول :

لا تدع أحدا يدخل الفيلا لأي سبب .

-حاضر يابيه.

-أبعدهم عن هنا تماما،لا نريد قلق ومشاكل ،

-حاضر يابيه ،لا تخشي شيئا ,لا أحد يجرؤ علي الحضور هنا .

-البوليس .

-لا أظن أن أحدا قد يتهمنا بشيء .

اوك ،افتح عينيك جيدا وانتبه هذه الأيام.

-أمرك يابيه.

استدار الدكتور ودخل الي الفيلا بينما ذهب العجوز لمجلسه بجوار البوابة.

كنا لا نزال نبحث عن الفتاة ,أشار عزيز الي بعض البيوت الحديثة وقال :

-هيا بنا نفتش تلك البيوت الجديدة ،ربما جاءت تلعب هنا وحدث لها شيء ما ..قالها أحدنا مشيرا الي المنازل الجديدية التي كنا أمامها بالفعل ،قسمنا انفسنا الي فريقين ،كل فريق يشمل اثنين يدخلان معا الي أحد البيوت ،دخلت مع محمد أحد البيوت،بيت عادي قسم من الداخل الي غرفات, الحوائط مبنية ولكن البنيان لم يكتمل وقد تم سقف الدور الأول بخرسانة مسحلة ثمة سلم يقود الي السطح ،لا أبواب خشبية أو نوافذ تم تركيبها ،أخذنا حذرنا من الزواحف والحيوانات الضالة ، رعب الأفاعي االثعابين والعقارب الذي يعرفه كل من عاش في الريف يصيبنا، هذا المكان بمثابة فندق خمسة نجوم بالنسبة لهم,بعيدا عن إزعاج البشر ،لو لم نصطدم في أحدهم اويفر منا بعض الفئران أو نقابل بعيون براقة مخيفة لقط

مـن هنـا أو هنـاك ،لـكان ذلـك أمـرا مريبـا. عـلي أي حـال تحركنـا بحـذر شـديد بـين بقايـا البنيـان والمسـامير وقطـع الخشـب المتبقيـة مـن آثـار السـقف ،بينـما يرتـدي أغلبنـا الخفـين ،كان هنـاك مخاطـر جمـة أن تصـاب الأقـدام بـشيء مـا ,مـن غرفـة لغرفـة تنقلنـا بـين الحجـرات القليلـة،لا شيء هنـاك ،فـار فـر أمامـي مذعورا،محمـد صعـد الي سـطح المنـزل ،لا شيء هناك,دخلـت الي مـا يفـترض أن يكـون الحـمام وهنـاك جـدت مـا اخشـاه .

بالطبـع قصـة شـبكات المجـاري في هـذا المـكان مـن الصعيـد في قريـة ريفيـة ,هـي ضرب مـن الاحـلام الخياليـة التـي لا يحلـم بهـا أحدنـا .كنـا نسـتعيض عـن شـبكات الـصرف الصحـي بحفـر بـئر عميقـة للاسـفل متسـعة القطـر ثـم بنيانهـا مـع سـقفها بالخرسـانة وجعـل المرحـاض فوقهـا ،نسـميها البيـارة مـن لفظـة بـئر ،كانـت تلـك بيـارة محفـورة ومبنيـة نظـرت للاسـفل ،لكـن الظـلام قـد سـاد،لم أري شـيئا،رفعت صـوتي انـادي محمـد الـذي جـاء لـيري معي البيـارة ،معـه قداحـة اشـعلها ولكـن ضوءهـا الضعيـف لم يرينـا شيء مـن البيـارة الضخمـة ، سـمعت صـوت حركـة مـا ،كان شيء أو شـخص يتحـرك ،لا ليـس في هـذا البيـت ،ربمـا في بيـت قريب،حركـة سريعة،نظـرت الي صاحبـي الـذي سـمع ماسـمعت ،تجمـد كلانـا

لحظة ركزنا كل اسماعنا لتحديد مكا ن أو هوية الصوت ،بادرته:

-سمعت؟

-نعم

أشار الي الخارج مكملا :

-الصوت قادم من هنا .

خرجنا الي الخارج مسرعين, اتجهنا الي مصدر الصوت الذي لم يتكرر،كان اتيا من البيت التالي ،الظلام سائد ،لا يمكن أن تري شيئا،ناديت بصوت مرتفع :

-فاطماااااااااااااة.

قلدني محمد ورفع صوته أيضا بالنداء،قابلنا الاخرين الذين كانا يفتشا هذا البيت وقد خرجا مسرعين وقد بدت عليهما علامات القلق والخوف .

-هناك صوت أتي ناحيتكم؟

-نعم لقد سمعناه أيضا ،كنا نفتش فوق السطح ،فجأة سمعنا صوت شخص أو حيوان يجري بسرعة ،ثم صوت ارتطام مكتوم،عندما نزلنا للاسفل لم نجد شيء ،في الوقع وجدنا آثار غبار خفيف اثير في جو البيت .

اقتربنا من البيت بحذر ونادي بعضنا بصوت مرتفع:فاطماااااااامة.

صدي صوت يتكرر ثم صمت .

-يا فاطماااااااااة.....

صدي صوت ثم صمت .

-فيه حد هنا ؟؟؟؟؟

صـدي صـوت ولامجيـب ،نظرنـا لبعضنـا وانصرفنـا عائديـن الي القريـة .

****

-عنـد بيـت فاطـة التقينـا ,خيبـة الأمـل باديـة عـلي الـكل ،لم يجـد أحـد شـيئا ،في طريقنـا الي داخـل القريـة كنـا نفتـش ونسـأل كل مـن يقابلنـا مـن النـاس ،سـالنا الرجـال والاطفـال العائـدون مـن الحقـول متأخريـن ،قضينـا وقتـا طويـلا ،وقابلنـا باقـي فـرق البحـث،لا شيء.. لا شيء ،اختفـت الفتـاة بـلا أدني أثـر ،لـك أن تتصـور حـال والدتهـا التـي تقطعـت بـكاءا ،والدهـا حـاول أن يبـدو متماسـكا أمـام النـاس ولكـن بـلا جدوي،لقـد انهـار وبـكي كطفـل صغـير ،كانـت ليلـة عصيبـة عـلي القريـة كلهـا ،سـاد الخـوف والحـذر مـع الحـزن عـلي مصـير الفتـاة المجهـول ،قـام العمـدة بإبـلاغ الشرطـة تليفونيـا وقـد اخـبروه أنهـم في الصبـاح سـوف يتواجـدو في القرية،بينـما تطـوع بعـض أهـالي القريـة بإحضـار أكـثر مـن سـيارات ربـع نقـل -والتـي كانـت وسـيلة النقـل الوحيـدة تقريبـا مـن القريـة الي المدينـة- وسـيروها في القريـة والقـري المجـاو ة تعلـن عـن اختفـاء الفتـاة

ومواصفاتها .

-كلما مر الوقت كلما زاد القلق والخوف علي مصير الفتاة وقل الأمل في العثور عليها سليمة .

قرب منتصف الليل عاد محمد الي منزله الموجود قريبا من منزلي في شارع مجاور،استقبله والده ووالدته واخيه الصغير بوجوم ،سألته والدته رغم الإجابة البادية علي وجهه:

هل هناك أخبار ؟

-لا ،لقد فتشو البلد جزءا جزءا,لا شيء علي الإطلاق .

ودار ذلك الحوار بين افراد العائلة ..

-وماذا بعد ؟

-هانحن نبحث وغدا نكمل البحث .

-هل تعتقد أن احدا قد يذكرنا بشئ ؟

-لا طبعا ،لا أحد سوف يربط حادث الفتاة بأي شيء يجري في بيتنا.

-هل أبلغو الحكومة؟

-نعم وسوف يأتو في الغد .

هل يمكن يفتشو البيوت ؟

-لا ،لال أعتقد ولكن.....

تنهيدة طويلة قلقلة من محمد واكمل :

-ربنا يستر .

-دعونا نتوقف عن العمل هذه الأيام حتي نري الي ما سوف تصل الأمور.

-نعم ,هذا صحيح ,غدا سوف أذهب الي المدينة لكي اتصل بـ البيه وأخبره بما يحدث وأطلب منه أن نتوقف بعض الوقت وألا يرسل أحد هذه الأيام .

-تمام .

دخل محمد الي فناء منزله ،نظر الي الحفرة العميقة التي يجري العمل فيها من أيام ،وقال محدثا نفسه :

-تري هل انتي السبب؟؟ هل هذه لعنة ستصيب البلد بسببنا؟

****

-عندما عدت الي منزلي،قابلتني والدتي بقلق شديد،حالة من الخوف اصابت البيت كما اصابت القرية كلها ،النتيجة بادية علي وجهي ،منعت أسماء الصغيرة من الخروج من البيت ،رعب اجتاح الكل،دخلت فراشي شاردا أفكر كثيرا جدا في أحداث اليوم وفي ذلك الطارئ الذي حدث في القرية ،أحاول أن استنتج أو اصل الي أي شيء حتي غالبني النوم دون أن اصل لشيء.

-اليوم التالي كان استثنائيا في القرية ،جاءت الشرطة الي منزل العمدة واستدعو والدي الفتاة واختها الاكبر ،اسألة عن عداوات،عن لصوص ،عن ثأر عن أشياء مماثلة ،لانتيجة واضحة ،وضعنا اماهم كل المعلومات ،اخبرناهم باننا فتشنا كل جزأ في القرية ،وتركنا لهم استكمال تحرياتهم،تم تفتيش ترعة القرية كلها للعثور علي جثمان الفتاة ولكن ..بلا جدوي ،فيما بعد عرفنا أن الشرطة قررت استدعاء غواصين للبحث في النيل علي مسافات معينة يقدرونها حسب التيار ،اما أنا واصدقائي فكان لنا مشاريع أخري للبحث .

-في بيت عزيز اجتمعنا معا نناقش الأحداث ،ونضع افكارا واستنتاجات ،لقد مر الآن يوم تقريبا علي الاختفاء ،مازال

هنـاك امـل اننـا نبحـث عـن فاطمـة حيـة وليـس عـن جسـدها ،هنـاك مكانـين بالتحديـد يمكـن أن نبحـث فيهـما ،الأول هـو البيـارات العميقـة المخيفـة الموجـودة في البيـوت الجديـدة والاخـر هـو اعشـاب الخـوص الموجـودة بكثافـة في منطقـة مـا علي شـاطيء النيـل ،بعـض الأطفـال والمراهقـين الأولاد بالتحديـد كانـو يذهبـو إليهـا لقطـع اعـواد الخـوص التـي يلعبـون بهـا .

-انقسـمنا الي فريقـين ،الأول يذهـب الي البيـوت الجديـدة والاخـر الي النيـل ،كنـت في الفريـق الأول الذاهـب الي البيـوت ،حتـي اكمـل جولـة الأمـس ،احضرنـا معنـا حبـلا طويـلا متينـا وبعـض البطاريـات للاضـاءة رغـم أن الوقـت صباحـا والشـمس سـاطعة وذهبنـا .

-أربعـة بيـوت عـلي وجـه الدقـة بهـا بيـارات اسـتبعدنا احدهـا لأن صاحبـه قـد غطـاه بغطـاه بالـواح صلبـة مـن الخشـب لا يمكـن اختراقهـا بسـهولة ومازالـت مكانهـا ،وفي البيـت الثـاني ،كانـت البيارة بعمـق حـوالي ثمانيـة امتـار وقطرهـا حـوالي ثلاثـة امتـار ،رغـم ضـوء النهـار إلا أن عمقهـا مظلـم الي حـد مـا ،لم تسـتطع البطاريـات اليدويـة الضعيفـة أن تصـل الي العمـق ،ثمـة أشـياء غامضـة لا نعرف كنههـا هنـاك ،نظرنـا الي بعضنـا ،وقـال أحدنـا :

ما رأيكم ؟

-لا نستطيع أن نري العمق بوضوح,هناك أشياء غامضة في الأسفل.

-أعتقد أنها طوب وزلط وقطع صغيرة من الخشب .

-ويمكن أن يكون هناك شيء آخر .

-جسم بشري مثلا ؟

-لما لا .

-هناك مياة جوفية أيضا في القاع .

-ولذلك فنحن لا نري بوضوح ماذا يوجد اسفلها .

-ماذا إذا ؟

-الحبل معنا .

-أنا سوف أنزل ،أنا أخفكم وزنا ، امسكو بي جيدا .

قالها زين ضئيل الجسم قوي الأعصاب في ثبات .

-علي بركة الله .

ربطنا زين جيدا بالحبل ،ثم امسكنا ثلاثتنا بقوة وبدأ يتسلق البيارة نزولا.

البيارة ليست مجرد حفرة عميقة في الأرض بل هي لوجاز أن نقول بنيان للأسفل ،بني بالطوب الأحمر والخرسانة الأسمنتية ،من بناه وضع في حسبانه وجود بعض قوالب الطوب الناتئة

تشكل سلما بدائيا للصعود والهبوط ،خطوة خطوة وقد وضع في جيب جلبابه بطارية ،ينزل بحذر ونحن نمسك جيدا جدا بالحبل ،خطوة خطوة ،بعد دقائق جاء صوته من أسفل :

-وصاااالت .

تردد صدي الصوت بقوة ونحن نراه يستقر علي أرضية البيارة, ارخينا الحبل ،ونظرنا الي الأسفل .

-ما الاخبار عندك ؟

-هناك مياة خفيفة .

-انتبه جيدا

اخرج بطاريته وظل يتفقد الأرض جيدا ويتحرك ببطئ وبحذر شديد زنحن في الاعلي في صمت تام نترقب حدوث أي شيء أو أي كلمة منه ,أخيراً رفع وجهه الينا وقال :

-حجارة وخشب ،لا شيء آخر هنا .

-اصعد إذا علي الفور .

بدأ يصعد ببطئ في, الواقع بدأنا نرفعه بحذر كما نزل وان كان الصعود اصعب ،قليلا.. قليلا حتي وصل حافة البيارة, التقطناه وخرج ،جلس قليلا يلتقط انفاسه .

انتظرنا قليلا وخرجنا الي البيت الثاني ،هناك لم يكن بنيان

البيارة قد اكتمل ،فلم تكن بنفس العمق السابق ،رأينا قاعها ليس ثمة تراب،وبعض الطوب والظلط، نظر كل منا من ناحية، وركز جيدا ، ليس ثمة شيء هنا ،لا آثار لأي جسد بشري في قاع البيارة، فلنذهب إذا الي البيت الثالث

-دخلنا البيت بحذر ،ليس كبيرا ،بسهولة كنا نقف أمام البيارة،تذكرت ماحدث أمس نظرت أنا وعزيز لبعضنا البعض ،هذا هو البيت الذي جاء منه الصوت ،توقعنا العثور علي شئ ،وعند البيارة نظرنا جيدا في ضوءالنهار ،اتسعت عيناي لما رايت ونظرت لعزيز بقلق شديد فوجدته ساهما صامتا ينظر الي البيارة .

****

-ارتفع صوت سيارة الشرطة الداخلة الي القرية ، والتي أثارت انتباه واهتمام كل الناس بدءا من الأطفال الي كبار السن ، وأمام منزل العمدة توقفت وخرج منها اثنان من الضباط وثلاثة جنود, دخلو الي بيت العمدة الذي كان في استقبالهم بينما بدا أن القرية سوف تمر بأوقات عصيبة .

-وفي شرفته وقف الدكتور عمر يراقب سيارة الشرطة القادمة الي القرية بصوتها المميز ،من فيلته يري جزأ كبير من القرية ، راقب السيارة في صمت ،كان العجوز قد خرج من الفيلا وخلفه الكلب الذي لا يتركه يتابع في قلق دخول سيارة الشرطة الي داخل القرية ،نظر للخلف ليجد سيده في الشرفة ، أشار اليه بيده فدخل الفيلا وصعد الي أعلي حيث يوجد عمر .

-تدخل الشرطة يثير القلق.

-ليس لدينا ما يجذبهم الينا ،لن يستطيع أو يجرؤ أحد علي اتهامنا بشيء .

-لنأخذ حذرنا رغم كل شيء.

-حاضر يابيه .

****

-في بيتهم كان القلق يعصف بمحمد وأسرته ،استيقظو مبكرا وجلسو يتناقشو كثيرا ، فجأة دخل الولد الصغير كالعاصفة الي البيت ،ليلقي بـ جملة واحدة وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه ....

-الحكومههههه... وصلت .

رغم توقع ذلك، إلا أن التوقع شيء وحدوث الأمر شيء مختلف، سمعو صوت سارينة سيارة الشرطة يقترب قليلا ثم توقفت ، نظرو الي بعضهم البعض نظرات ذات مغزي .

الأب : وماذا بعد يامحمد ؟

الأم : الحكومة ليست سهلة, إنهم يعرفون كل شيء .

محمد : هم هنا لهدف محدد ،وليس لشيء آخر .

الأب : لا أحد يضمن ،ربما فتشوا البيوت ووقتها .....

محمد : لا أعتقد ،ورغم ذلك ،ليس علينا شيء ،نحن نهدم ونبني في بيتنا .

الصغير : ولكن الحفرة في الفناء ،تثير التساؤل .

صمت قليل وتبادل للنظرات ،قطعه محمد:

-لدي فكرة

-ثم توجه نحو الداخل وخلفه الباقين ،نظر الي الحفرة الكبيرة وأردف :

-يجب أن تختفي هذه الحفرة .

الأب : كيف ؟؟؟

محمد : لنحضر بعض الواح الخشب ونغطيها ونضع فوقها التراب حتي تبدو طبيعية جدا .

-ليكن

وبدأو ينفذو بالفعل .

في بيت جاد، كان ذلك الأخير ينظر من نافذته الي بيوت القرية،لا يمكنه رؤية الطريق الرئيسي من هنا ،ولكنه سمع صوت سيارة الشرطة ،لا يبدو علي ملامحه الجامدة شيء ،لا تعرف إن كان قلقا أم ثابتا أم ماذا به ،ملامحه تدعوك للتفكير كيف يبدو شكله عندما يسعد بشدة ،هل هاتان العينان سبق لهما أن بكت،وقف بعض الوقت ،جاءت همهمة من الداخل ، دخل بهدوء بطريقته التي لا تشعر بها ،وبدا أنه يتحدث مع شخص ما في الداخل ،لا تعرف هل يحدث نفسه أو يحدث قطته ،أو هل هناك شخص آخر في الداخل .المؤكد أن أشياء غريبة غامضة تجري في هذا البيت .

-نظرت الي عزيز والآخرون ،كانت البيارة مغطاة بألواح من الخشب القديمة ،ليس هذا هو المثير في الأمر ،المثير هو أن جزء من هذه الألواح كان محطما بطريقة غير منتظمة وكأن شيئا ثقيلا قد وضع فوقه أو كأن جسما حاول أن يعبره فسقط. مددت يدي بحذر اختبر الخشب ،بالفعل كانت الاولاح ضعيفة جدا ، نظرنا لبعضنا ، انتظرنا أن يبدأ أحدنا الكلام ،بدأت أنا:

-سوف أنزل.

-هناك خطورة .

-لابد من تفتيش قاع البيارة ، أشعر أننا سوف نجد شيئا هناك.

تعاونا علي نزع باقي الألواح ، ربطت الحبل جيدا حول جسدي، أخذت البطارية ،رغم الضوء فإن القاع مظلم ،بحذر نزلت وبقوة وبحذر شديد تصرف اصدقائي ،حتي وصلت الي القاع ، وطأت اقدامي القاع ،خطوة ..خطوة ..فجأة تجم الدم في عروقي عندما وضعت آخر قدم ,ما هذا الذي وطأت أطلقت صيحة عالية عندما سلطت ضوء البطارية الصغيرة علي ما في القاع واتسعت عيناي برعب .

****

-كان علي هو من ذهب الي شاطيء النيل في منطقة نبات الخوص للبحث هناك ,المكان هناك خطير جدا ,علي شاطيء النيل ، هناك غابة صغيرة من الخوص ، نبات مثل الدرة ولكن سيقانه أكثر قوة وأكثر تشابكا ، نبات غير مثمر لذا لا يهتم أحد به ,بعض الأولاد يأتون هنا للعب ولتقطيع سيقان الخوص، من البعيد أن تجرؤ فتاة علي القدوم الي هنا ولكن في مثل هذا الوضع لا يمكن أن نستبعد أي احتمال ، بحدز دخل علي واصدقاؤه الي غابة الخوص، لكي تصلك الصورة كاملة دعني أصف لك المكان ..

علي شاطيء النيل خلفك الحقول الزراعية حتي حافة النهر وبعدها ممر ضيق ثم توجد الغابة في مكان منحدر الي حد ما، تمتد علي مساحة مئات الأمتار المربعة.

المكان شائك ، مخيف ، خطير جدا، لذا توغلو بحذر شديد، خطورة وجود ثعابين وزواحف وكائنات أخري تعيش هنا وخطورة الإنزلاق بعنف والسقوط في النيل ، وخطورة النبات الشائك المؤذي للجسد نفسه ، خطوة خطوة ، تمتد الأيادي للأمام لإزاحة سيقان الخوص ورؤية ما تحوي ، خطوة وراء خطوة في اتجاهات مختلفة تفرقو في أكبر مساحة ممكنة ،مرت دقائق ،نصف ساعة ، ساعة ,كلما مرت دقيقة دب اليأس

في القلوب أكثر فأكثر ,فجأة رأي علي شيئ ما جعله يتوقف ويصيح بصوت قصد أن يكون مرتفعا لكي يسمعه الآخرون :

-ما هذا ؟؟

علي الفور جائته الأصوات متسائلة قلقة :

-ماذا هناك ؟ ماذا حدث ؟

-أري شيء ما ،اقتربو مني هنا.

-اقترب الآخرون بسرعة ولكن بحذر ، أشار لهم الي حيث ينظر بيده ،كانت الإشارة كافية لتوجه الأنظار الي المكان .

****

شعرت بالرعب لحظات ابعدت قدمي بينما جاءت الأصوات من أعلي قلقة جدا متلهفة تسألني عما هناك ، صحت بصوت مرتفع :

-هناك جسد هنا

ارتفعت الأصوات القلقة تتساءل عما هناك بينما كنت أحدق في حدود الجسد المسجي أمامي فارغا من الحياة لايشعر بشئ،اصواتهم من أعلي تعالت تتطالبني بان اخبرهم بماهنالك وان أكون حذرا ،بدأت تتضح المعالم ،علي ضوء البطارية رأيته,وفهمت كل شيء,هذا كلب ميت ،كلب بائس اوقعه حظه

التعس في هذه البيارة فكسرت رقبته ومات،تذكرت ماحدث بالامس هنا والصوت الذي سمعناه ، شعرت بالاشمئزاز ، وطلبت منهم أن يرفعوني بسرعة لاعلي ،وفي الاعلي ،قابلتني نظرات القلق والتساؤل ،أوضحت لهم ماذا يوجد في الأسفل ، انصرفنا علي الفور .

****

-كان علي واصدقاؤه الآن قد اقتربو من النيل ، بين نباتات الخوص وبعض الشجيرات البرية هناك شيئ ما مخفي بعناية، اقتربو بحذر في محاولة لتبين هوية هذا الشيء ، بدأت تضح معالمه ، هذا قارب خشبي .

-مركب؟! ولكن لماذا هو مخفي هكذا هنا ؟

-يبدو أن صاحبه لم يرد أن يراه أحد أو يعرف بوجوده .

-دعونا نفتشه .

الآن نحن أمام مركب صيد عادية جدا ، ولكنها جديدة ، بحالة ممتازة يبدو أنها لا تخص أي من صيادي المنطقة الذين يخرجون يوميا للصيد ,قفزنا داخلها ،لا شباك صيد ولا أواني ولا شيء يدل علي أن صاحبها يستخدمها في صيد السمك، فتشنا جيدا ,لا شيء مريب ، في الواقع لا شيء علي الاطلاق ,فقط المركب وألواح التجديف والجمل - الحبل الذي يربط المركب

بشيئ خارجها حتي لاتزلق يسمي الجمل - مربوط في جذع شجيرة متين .نظرنا لبعضنا بدهشة وبعدم فهم ،ثم قررنا العودة يبدو أنه لا شيء آخر لاستكشافه .

****

- ظل البحث جاريا ،مع تضاؤل الأمل ،الفتاة اختفت دون أدني أثر القلق، التوتر يتزايد ،في المساء فضلت أن أبقي في غرفتي ،فضلت أن انفرد بنفسي لافكر في كل شيء ،الأحداث الغريبة المتلاحقة التي تحبس الانفاس ،بدءا من موضوع جاد ،وغرابة أطواره واهتماماته التي ازهلتني ،ثم جاءت قصة اختفاء فاطمة التي زلزلت كيان القرية كلها ،هناك أيضا ذلك الدكتور الغامض القابع في فيلته لا أحد يعلم عنه شيئا ،لا أعرف لماذا أشعر أن وراءه أسرار كثيرة ،حتي العجوز الذي يعمل عنده لايقل غرابة عنه والفيلا الغامضة التي يسكنها ,ثم قصة علي عن المركب المخفي بمهارة بين نباتات الخوص ،أخذتني الأفكار، فلم أستطع النوم ،قررت الخروج لاستنشاق قليل من الهواء الطلق الرائع, ربما انعش هواء الليل عقلي ،خرجت بهدوء دون أحداث ضجة في المنزل ،فتحت باب بيتنا بينما كان الكل نائمين وخرجت الي الشارع ،اتمشي قليلا ،الشوارع فارغة في تلك الساعة ،لا أعرف ولكني شعرت بحزن خلف البيوت ،ظللت

اتمشي شارد الذهن, قادتني قدامي قريبا من فيلا الدكتور عمر ،كانت توجد علي بعد عشرات الأمتار, لها طريق خاص، حقول الذرة المرتفعة فوق قامة الرجل العادي تملأ المكان علي الجانبين ،قررت أن أشاهد الفيلا وحيدا عن قرب ،خطوت علي الطريق المؤدي الي الفيلا ،بهدوء دون إحداث أي صوت حتي اقتربت ،الفيلا نائمة مظلمة كوحش أسطوري علي ضفاف النيل ،التففت من الخلف ،أشاهد الحديقة الغناء واستنشق عبق زهور اشجار الفاكهة الزكية ،ضوء النجوم والقمر الخافت ،هذا جو شاعري بامتياز ،يثير في النفس مشاعر دفينة ،حفيف اعواد الذرة وعواء كلاب قادم من بعيد واصوات غامضة هي مزيج من اصوات حشرات, بالاضافة الي حفيف اوراق اشجار تحركها رياح خفية تغشاها علي فترات متقطعة مع اصوات أخري غامضة المصدر ،مع وحدة بلا صديق ولاسلاح تمثل ضعفا وهشاشة ،مع أحداث غريبة تمر بها القرية ،كل ذلك يمثل لوحة رعب مخيفة.

علي أي حال لم أكن من ضعاف القلوب أو ممن يخافون بسهولة،توقفت لحظات خلف حديقة الفيلا الخلفية من الخارج،انتبهت لموقفي ودهشت كيف أتيت الي هنا في مثل هذا الوقت ،قررت العودة الي القرية ،اصطدمت قدمي بشي

ما، شيء طري ،انحنيت لأري ما هو ،كانت ثمرة مانجو كبيرة طرية استوت وسقطت من غصنها ،لمثل هذا وأكثر يأتي الأطفال نهارا، امسكتها وشعرت بالسعادة رغم كل شي ء، تنسمت الرائحة الزكية وانتصبت ممنيا نفسي بوجبة مانجو رائعة، سوف استأذن صاحبها وأخبره بأني أكلت إحدي ثمار حديقته ولكن عندما يحين وقت ذلك ،ما أن انتصبت وقربتها من أنفي استنشق عبقها حتي وجدت أمام عيني ومن حقل الذرة القريب عينين تنظران اليا وتلمعان، تسمرت لثواني، زهلت، ذهب عقلي وتصلبت قدماي لا أقوي علي الإتيان بأي حركة ، التقت عيناي بتلك العينين ثواني قليلة ، ظللنا نحدق ببعضنا، هاتان عينان بشريتان، قبل أن أتمالك أعصابي وأقرر ما أفعل، كان الآخر قد أخذ زمام المبادرة وفجأة اختفت العينين بين الحقول وسمعت حركة عنيفة ،لقد فوجئ صاحب العينين بوجودي كما فوجات أنا بوجوده ،وعندما رآني فضل الهروب، وانطلق بين حقول الذرة محدثا جلبة هائلة حطمت استار الصمت شبه السائد وازعجت الحشرات والضفادع والكائنات الليلة المستكينة .فكرت للحظات،هل أتبعه أم أتراجع وأذهب بسرعة من هنا ،لو أن من في الفيلا شعروا بنا فلسوف يخرج أحدهم وربما سبب لي مشكلة أو اتهمت بالسرقة فتواجدي في

هـذا الوقـت في هـذا المـكان غريـب وغـير مـبرر وفي نفـس الوقـت فكـرت لمـاذا يفـر منـي صاحـب العينـين بهـذه الطريقـة ، الأفـكار تتـوارد وتتزاحـم في عقـلي بسرعـة الـبرق ،هـل أتراجـع أم اتبعـه ، مـال عقـلي لاتخـاذ قـرار المطـاردة لأسـباب, فهـذا الشـخص لـو كان في موضـع القـوة ،لـو كان يملـك سـلاحا مثلا،لـو أن معـه آخـرون، أو حتـي لـو لم يكـن لديـه مـا يخفيـه مـا فـر بتلـك الطريقة ، قـررت أن أطـارده ، ومـا حسـم الأمـر سـماعي لبـاب الفيـلا الحديـدي الضخـم يفتـح بصريـر مزعـج ،كان بالفعـل قـد توغـل في الحقـول، لكنـي وعـلي الضـوء الضعيـف وعـلي صـوت حركـة أعـواد الـذرة العنيفـة اقتفيـت أثـره ، جريـت خلفـه بقـوة، اصطـدم وجهـي بأعـواد الذرة، تعـثرت قدمـاي وسـقطت أكـثر مـن مـرة ،وقمـت لأكمـل المطـاردة، كنـت مـصرا عـلي معرفـة مـن أطـارد ، وراودتنـي أفـكار ربمـا أدي ذلـك لمعرفـة مـكان الفتـاة أو تقفـي أثرهـا ،إذا فلأصمـد ، لا يهـم ،أن تغـوص أقدامـي في أراضي طينيـة مـرة وأرضي ترابيـة مـرة ، هـل مـا دسـته هـو ضفـدع، ياللاشـمئزاز،لا يهـم إجـري.. إجـري ..لا تتوقـف، أمـا المُطـارد فـكان يجـري كالشـيطان، لا أعـرف مـن أيـن يمتلـك القـوة والمهـارة للابتعـاد عنـي بهـذه الطريقـة، ألا يتعـثر؟ ألا يسـقط؟ ألا تجـرح قدمـاه ؟ ألا يـصرخ ألمـا عندمـا يصـاب وجهـه؟ كيـف تجـاوز كل تلـك المعوقـات وفـر كالشـبح ؟ كل هـذه الأسـئلة

تـدور في ذهنـي وقـد طـال الوقـت وتلاحقـت أنفـاسي وخـارت قـواي مـن عنـف المطـاردة في حقـول الـذرة . توقفـت التقـط أنفـاسي قليـلا ونظـرت أمامـي لا أثـر لـه ،إختفـي تمامـا ،لا توجـد حركـة في الحقـول ولا أعـرف الي أي اتجـاه فـر ، المطـاردة العنيفـة لم تثمـر شـيئا، نظـرت حـولي والتفتـت في دائـرة كاملـة ،لا شيء عـلي الإطـلاق ،لا أثـر يقتفـي, يااللاحبـاط الـذي أشـعر به,ظننـت أني سـوف أقـع عـلي صيـد ثمـين ولكـن الأمـر انتهـي بفشـل زريـع مـع بعـض الخسـائر ،إذا فلأعـود الي منـزلي .

كنـت قـد وصلـت في مطـاردتي للطـرف الآخـر مـن القريـة ،لحسـن الحـظ كنـت أعـرف كل معـالم قريتي ،وإلا مـررت بالتوهـان والضياع حتـي الصبـاح في تلـك الحقـول المتشـابهة التـي تشـعر أنهـا تمتـد أحيانـا الي مـالا نهايـة .هـذه شـجرة النبـق العجـوز ،التـي تقـع في حقـل أحـد جيراننـا, أعـرف حقلـه جيـدا ،إذا فالطريـق ليـس بعيـد عـن هنـا ، نعـم في هـذا الاتجـاه ،لكـم ابتعـدت في مطـاردتي لذلـك الشـخص ،قطعـت مسـافة كبـيرة ولكنهـا للأسـف بـلا فائـدة ،الآن أدرك تمامـا أنـه ليـس أمامـي سـوي العـودة للمنـزل ،كـم أصبحـت القريـة خطـيرة وتجـري بهـا أحـداث غريبـة ، وفي عـودتي لم ألمـح تلـك العينـان اللاتـين تراقبـاني مـن خلـف شـجرة النبـق ،عينـي مـن كنـت أطـارد ،تتابعنـي وأنـا أعـود الي الطريـق ،لأعـود الي منـزلي .

عندما دخلت البيت كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل ،بكل هدوء دخلت محاذرا ألا أوقظ أحد من البيت،كان منظري مريعا مزريا ،دخلت الي الحمام مباشرة ، أزالت المياة المتدفقة من الدش كل ما التصق بجسدي من طين وغبار وأوراق شجر ، ولكنها لم تؤثر في ذكريات ما مر بي من قليل من أحداث غريبة .

في الصباح كان عزيز يطرق باب بيتنا في العاشرة ، لم أكن قد استيقظت بعد ، أيقظتني والدتي التي نظرت لي بريبة ،ثمة بعض الخدوش البسيطة في وجهي وعلي يدي تساءلت عن سببها ،اخبرتها باختصار :

-من الذرة ،يا أمي ،فيما بعد افهمك .

خرجت له دون أن اغتسل ،دهش جدا من منظري ،التساؤل يقفز من عينيه عما هنالك ،طلبت منه أن ينتظر قليلا حتي اغتسل ،بسرعة خرجت من الحمام لاجد والدتي وقد اعدت لنا افطارا يتكون من شاي بلبن ،وبعض المقرمشات التي تصنعها في البيت واعشقها ،جلست أمام عزيز الذي وجدته قد امسك احدي قصصي وانشغل في قرائتها حتي اعود ،جلس علي كرسي وتساءل :

-مابك ؟ماذا حدث؟

-هـل تعـرف مغامـرات تختـخ الليليـة ،عنـد انهماكـه في أحـد الالغاز الغامضة ؟

-؟؟؟

-لقد قمت بمغامرة ليلية مذهلة أمس .

-لا افهمك ،ارجوك اوضح .

-حسنا .

حكيـت لـه كل شيء حـدث ليلـة أمس ،كانـت نظراته زاهلـة وعينيه غـير مصدقتـان لمـا احـكي ،عندمـا انتهيـت مـن قصتـي ظـل صامتـا لحظـات وكانـه يسـتوعب مـا سـمع ،بعـد وقـت بـادرني بالسـؤال:

-تعتقد أن الحادث هذا له علاقة باختفاء فاطمة ؟

-لا أعرف ،لكن التوقيت يجبرنا علي ربط الامرين .

-هل نعود الي هناك الآن ؟

-ومـاالفائدة ؟

-ربما وجدنا أي أثر أو أي شيء وقع منه .

-لا أعتقـد ،سـنبحث عـن شيء وسـط حقـول الـذرة كاننـا نبحـث عـن ابـرة في كومـة قش.ثـم أن الوقـت كان ليـلا وظـلام دامـس لا أذكـر حتـي خـط سـير المطـاردة اليـان وصلـت الي شـجرة النبـق العجـوز.

-الم تري أي تفاصيل من الشخص ولا سمعت صوته ؟

-اطلاقا ،لم أري إلا عينيه ...ولكن ....

-ولكن ماذا ؟حاول أن تتذكر

ضاقت عيناي وحاولت أن اعتصر عقلي واناقول :

-هاتان العينان أذكر أني رايتهما من قبل ،ثمة شيء ما غريب ،متاكد أني رايت تلك العينين وتلك النظرة .

-حاول أن تتذكر .

-ليس الآن, ذهني غير صافي .

-اذن هيا بنا نخرج ،لنري الي أين وصل موضوع البحث .

****

لا شيء جديد ،لا أثر للفتاة حية أو ميتة لا أثر لجثة ،لا بقايا ملابس، لا فردة حذاء وقعت منها ،شيء محير فعلا ،الشرطة نفسها احتارت جدا في الأمر ،وقد تقرر حضور الغواصين الذين سوف يبحثو في النيل ،هذه أحداث جسام لا تتحملها قرية صغيرة وديعة مثل تلك ،عن حالة أهل الفتاة حدث ولا حرج ،لا كلمات تصف مشاعر الحزن والاسي والذهول التي تعصف بالبيت المكتئب ،الناس في خوف علي اطفالهم ،وكأن الرعب والفزع السائد بالفعل من الأحداث التي تجري في مصر كلها لم يكن يكفي تلك القرية البائسة حتي تصاب بحادث اختفاء طفلة منها.قابلنا محمد أمام بيته ،سلم علينا ولكنه لم يكن

حارا في سلامه ،قديما لم تكن تستطع المرور أمام منزله دون أن يمسك به ويدخلك لتشرب معه الشاي ،الآن شعرنا به فاترا في سلامه ،لم يطلب منا حتي لمجرد الزوق أن ندخل منزله ،لا أعرف ماذا حدث للناس هنا ،ربما اثرت الأحداث السياسية أو حتي حادث فاطمة علي نفسيتهم وجعلتهم أكثر خوفا وحذرا حتي من اقرب الناس اليهم.جلسنا علي النيل بعد أن اصطحبنا علي وهواحد الأصدقاء وهناك فوق شاطئ النيل جلسنا،نتحدث ،لولا ما يمر بالقرية من أحداث لكانت لحظات رائعة تلك التي نقضيها نتنسم هواء النيل ونستمع برؤيته مع الاشجار والنخيل والحقول ومراكب الصيادين القلية المارة علي مقربة أو مبعدة ،من قبل كنا ناتي هنا لنمارس الصيد اما الآن فلا مزاج رائق لذلك ،امتدت جلستنا وقتا طويلا وتنوعت حواراتناولكن ظل موضوعهاالرئيسي هوفاطمة.قررنا العودة الي منازلنا ،ودعتهم وفي الساحة أمام منزلي وجدته،القط الأسود المخيف يتناول بقايا طعام ما القته والدتي اوجارتنا ،رفع عينيه لينظر لي, وقتهافقط تذكرت أين رايت العينين اللاتان طاردت صاحبهما ليلة أمس من قبل.

مسرعا جدا ،عدت الي دار عزيز ،اندهش عندما فتح الباب ليراني امامه ولم نكن قد افترقنا إلا منذ دقائق قليلة ،قبل أن

يسـال ،بادرتـه :

-عزيز ،تعالي نطلع برا نتحدث قليلا

لم يـرد .فقـط خـرج واغلـق البـاب خلفـه .لم أكـن اريـد أن يسـمعنا أحـد ،ابعتدنـا قليـلا عـن منزلـه ،وقفـت امـاه وقلـت :

-عرفت صاحب العينين .

من ؟

-سـوف تـراه بنفسـك ،لـو كان ماافكـر فيـه صائبـا فسـوف نعـرف قريبـا أيـن اختفـت فاطمـة .

-لا افهمك يا احمد أنت غامض جدا .

-سـوف تفهـم كل شيء وسـوف تفاجـأ مفاجـاة عظيمـة ،ولكـن اريـد منـك طلبـا .

-ما هو ؟

-السـاعة السادسـة تمـام اريـدك أن تصطحـب أحـد اصدقاؤنـا وتذهـب الي منـزل جـاد .

-لماذا ؟؟

-سـوف تذهبـون بـأي حجـة ،بحجـة مثـلا انكـم تسـألونه عـن أي معلومـات عـن اختفـاء فاطمـة .

-جاد ؟؟ هل تعتقد أنه يعرف شيئا أو له علاقة بالامر ؟

-لا أعـرف عـلي وجـه التحديـد ،فقـط اسـاله إذا كان راي الفتـاة أو

راي أي شخص غريب في القرية في ذلك اليوم .حاول أن تكون مقنعا .

-تمام ،ولكن لماذا كل هذا ؟

-فقط اريد أن اراه بوضوح .

-هل سوف تأتي معنا ؟

-سوف أكون مختبئا في الحقول المواجهة لباب البيت اريد فقط رؤيته .

-عبدالله ،أنت تخيفني بتصرفاتك وغموضك .

-سوف تفهم كل شيء،فقط اريد منك أن تتحدث معه قليلا أمام الباب وقففي زاوية حتي اراه .

-حاضر .

-سلام الآن ،لا تنس ،السادسة تماما .

-تمام ،سلام .

وفي السادسة إلا قليلا تحركت أنا نحو منزل جاد،لم اسر في الطريق،فضلت أن امشي في حقول الذرة التي تخفيني عن الأنظار حتي لايراني أحد خاصة هو ،وصلت الي موضع قريب من باب البيت اختبات بين اعواد الذرة بحيث لايراني أحد ،من مكاني هذا أري الباب واري جزأ من الطريق ،دقائق ووجدت عزيز قادم هو وعلي ،كان زكيا بما يكفي لم ينظر أو

حتي يلتفت التفاتة بسيطة الي موضعي الذي من المؤكد أنه خمنه ،اقترب من باب البيت هو وعلي ،تقدم علي مترددا وطرق الباب مرة ثم مرة ،فتح الباب ونظر منه جاد بادره علي :

-السلام عليكم ،ازيك يا عم جاد؟

كنت اسمع الحوار من مكاني بسهولة ،رد عليه جاد باستغراب:

-ماذا تريدان ؟

كان علي يقف علي جانب الباب بينما يقف عزيز علي الجانب الآخر حتي يعطياني فرصة لرؤيته بشكل جيد ،رد عزيز :

-بالطبع أنت سمعت عن حادث اختفاء الفتاة فاطمة .

خرج جاد من الباب واصبح جسده كله في الخارج ،الآن اراه بوضوح،اممم لماذا يربط يده بهذه الطريقة أعتقد أنه مصاب ،هل هذه آثار جرح التي اراها علي وجهه؟كنت مركزا بشدة محاذرا أن يراني أو أن أتي بأي حركة تلفت انتباهه،لم يستغرق الحوار بينهم كثيرا ،انصرف علي وعزيز انتظر جاد قلبلا بعد انصرافهما،تابعهما بنظراته ،ثم نظر نحو موضعي ،تقدم عدة خطوات ،دق قلبي بعنف ،هل عرف بوجودي ؟كيف سيكون ردة فعله تجاهي؟خطا خطوة ...خطوتان, أعتقد أنه سمع صوت دقات قلبي ،كان يركز نظره نحو موضعي ،لم أكن ارتدي شيئا

ملفتا وكنت مختبئا جيدا،ولكن ...ها قد سبق السيف العزل، لا أعرف كيف اتصرف ،هل افر وتجري مطاردة مثل أمس؟ ، هذه المرة سوف تكون مطاردة عكسية ،أنا فيها الفريسة ،أم ابقي مكاني ،واذا بقيت بما سوف أبرر له وجودي هنا وبهذه الطريقة ،عقلي يعمل بسرعة مزهلة ولكن..خطوة أخري نحوي، ها قد اقترب جدا فجأة توقف في منتصف الطريق تماما ونظر يمينا ويسارا توقف قلبي عن الدقات،عاد ادراجه الي البيت... اههههه ،تنفست الصعداء ،دخل واغلق الباب خلفه. عادت الدماء تجري في عروقي الآن ،انتظرت دقائق حتي اتاكد أن المكان أمان تماما ،وبدات اتحرك للخلف حتي اعود كما اتيت ,أيضا بهدوء وحذر ملتفتا الي الطريق والي باب البيت ولكن حركتي كانت ظاهرة لمن يدقق النظر بسبب تحريك اعواد الذرة ،علي أي حال كنت مطمئنا الي أن احدا لا يراني ولو أني رايت تلك العينان اللاتان تراقبني من خلف النافذة لسقطت مغشيا علي من الصدمة.

-لم التقط أنفاسي إلا وأنا مستلقي في سريري ،بالطبع ظلت أمي تنظر الي باستغراب وتنتقد تصرفاتي في الفترة الاخيرة وأنا المعروف بعقلي ورزانتي ،بينما ظلت أسماء تطاردني وتسالني عما حدث لي لاتغير هكذا وعما جرح وجهي ويدي ،تخلصت

منها بهدوء وفي سريري جلست أفكر كنت قد كونت فكرة ما والآن اصبحت متأكد منها ،أن من كنت اطارد في تلك الليلة هو جاد نفسه وليس شخص آخر ،مئات الاسألة ثارت في عقلي:

-لماذا ؟ ؟؟؟؟

-كيف؟؟؟؟

-هل اختطف فاطمة؟؟

- لماذا مرة أخري ؟؟

-اسألة واسألة ،كانت تحتاج لاكثر من عقل يفكر معي .

****

-لم يكن هناك إلا هم ,اعتبر نفسي محظوظا بالفعل لاحاطتي بتلك المجموعة من الأصدقاء الاوفياء المتشابهين معي ثقافيا وفكريا واجتماعيا ,نحن نشكل بشكل ما فريق متكامل متجانس .

-امامهم طرحت كل افكار ي،هذه المرة لم نكن نجلس في دار أحدنا,لم نكن نجلس في دار الشافعي -رغم اصرار ذلك الاخير علي استضافتنا دائما ,هو بشكل ما يقضي معنا وقتا جيدا رغم أنه لا يشارك في الكثير من نقاشاتنا التي تدور حول الثقافة والكتب إلا أنه يصر دائما علي استضافتنا عنده في الفترة الاخيرة.

تلك الدار تعتبرمكاننا المفضل وهو مضيفنا المعتاد ,ولكن الأمر هذه المرة يحتاج الي كثير من الخصوصية .ما سوف نناقش لا يحتمل أن يسمعه غيرنا ، فضلنا الجلوس علي الكوبري فوق الترعة في الطريق المؤدي الي المدينة ،المكان مظلم الي حد ما ،كان هذا مكاننا المفضل ،نتبادل فيه الأحاديث والاراء دائما, هذه بقعة مكشوفة علي مشارف الحقول ومنها تري أي شخص قادم في أي اتجاه نستطيع أن نتوقف إذا لزم الأمر عند مرور أحدهم ،باختصار أنت هنا في أمان تام .

طرحت عليهم كل افكاري وتساؤلاتي ،قذفت في وجههم عدة قنابل بكلامي, لزم الأمر و قت غير طويل حتي يستوعب الجميع كل ماقلت ،وحتي ارد علي كل التساؤلات بماعندي من معلومات ،بعد كل ذلك جئنا للنقطة الاهم ،الآن جبل من الشكوك يحوم حول جاد, لكننا لانستطيع تاكيد اونفي تورطه في شيء ما وخاصة اختفاء فاطمة ،حتي وجوده الليلي عند فيلا الدكتور عمر ليس دليل علي شيء ،لاتنسي أنك تتحدث عن شخص غريب الأطوار تماما ،لا نتحدث هنا عن سقراط ومنطقية التصرفات .كنت قد قررت قرارا سوف يحسم الأمر ،لا ادري لماذا اتقمص دور تختخ قائد المغامرين الخمسة بين اصدقائي في تلك الأحداث ,القيت قراري في وجوههم :

-سوف اتسلل الي بيت جاد .

-هل جننت؟؟؟؟ .

عاصفة من الاحتجاجات والاستنكار قابلوني بها ،بعد أن صمتو اكملت :

-لا تصرف آخر بين ايدينا ،لا نستطيع أن نخبر الشرطة ولا أي أحد آخر ،لسنا متاكدين من شيء وفي نفس الوقت لانستطيع أن نصبر وقت اطول لنعرف ماذا يجري في بيته ،الوقت له ثمن ربما ادي تاخرنا الي ما يجعلنا نندم ندما شديدا ،فكرو جيدا كيف سوف نتعاون وننفذ ذلك.

بعد نقاشات حامية وقد ادرك الجميع أنني لن اتراجع عن قراري جئنا للنقطة التالية ,كيف نستطيع التنفيذ؟ طرح العديد من الافكار..

-نفتعل حريقا أو مشاجرة بالقرب من منزله ،وحين يخرج ليري ماهنالك يدخل أحدنا البيت ويفتشه بسرعة .

لاقت الفكرة معارضة .

-لا ،لاتضمن أن يخرج من البيت أصلا لأي سبب ،لاتفترض فيه الغباء ،هناك فرق بين المرض النفسي أو العقلي وغرابة التصرفات وبين أن يكون الإنسان غبيا .

-نذهب كلنا الي البيت ونطوقه عنوة ونفتش البيت .

-ولا هذا أيضا ،لاتضمن رد فعله ،ثم إذا كان بريئا وليس ثمة شيئ غير قانوني بخصوصه ،ماموقفنا أمام القرية وقتها ؟؟.

-صمت ...تفكير...

-عزيز كان اكثرنا منطقية في التفكير واكثرنا كذلك خيالا ،قال :

-اسمعو جيدا ،سوف نحضر سلم من الحبال ،ونذهب الي بيته الذي يتكون من طابق واحد ،نلقي السلم لنجعله يشتبك بالقضبان الحديدية البارزة من العامود الخرساني فوق المنزل ثم يتسلق أحدنا في هدوء حتي يصل الي سطح المنزل ومن هناك ينزل من السلم الي داخل البيت اثناء نومه ويحاول أن يستكشف ما هنالك .

استنكار ورفض واحد مقابل استحسان وموافقة أربعة .

وفي النهاية توافقنا علي الخطة ,قلت لزين :

-ليكن ،زين.. احضر من بيتكم السلم الحبالي ،ولنتقابل الساعة الواحدة بعد منتصف الليل في اول طريق بيته .

****

-عند الساعة الواحدة تماما كنا نتقابل حيث اتفقنا ،احضر زين السلم الحبالي،وقسمنا انفسنا كلاتي ،اناسوف استلق السلم لاصل الي سطح البيت ،عزيز سوف يساعدني ،علي سوف يراقب الطريق متخفيا من الناحية الامامية ،وزين من الناحية

الخلفيـة ،لسـبب مـا محمـد ليـس معنـا ،لم نقابلـه كثـيرا ...أشـعر أنـه اختـار بارادتـه أن يكـون بعيـدا عنـا ،لا أعـرف شـعرت أن لديـه همـوم تشـغله كثـيرا ،لـذا لم نخـبره بتصرفاتنا الاخـيرة .بهـدوء ،بحذر ،محاولـين بـكل مجهـود عـدم لفـت الانتبـاه ولا الأنظـار الينـا اقتربنـا مـن البيـت الغـارق في الظلمـة إلا مـن الاضـواء البعيـدة القادمـة مـن النجـوم أو مـن عامـود نـور بعيـد نوعـا ما,هـذه الايـام ليسـت أيـام مقمـرة كـما اسـلفت القـول .

القلـوب تـدق بسرعـة ،شـعرنا اننـا مقدمـين عـلي مغامـرة محفوفـة بالمخاطـر أو عـلي كشـف سر كبـير ،اثـرت فينـا كثـيرا القصـص البوليسـية التـي نقرؤهـا ،ربمـا لـولا قصـص المغامريـن ورجـل المسـتحيل مـا اجدنـا التخطيـط لما نفعـل أو حتـي مـا فعلنـاه بتلـك الطريقـة مـن الاسـاس .

-بحـذر اقتربنـا مـن البيـت ,لم يكـن هنـاك أي اضـاءة تخـرج منـه أو نافـذة مفتوحـة أو أي شيء مريـب بخصوصـه ,حـول البيـت تـوزع اربعتنـا، انحنيـا ونحـن نلتـف حولـه حتـي لا يكـون أحدنـا في مرمـي نظـر مـن ينظـر مـن أي نافـذة ،ليـس ثمـة حـركات لا يشـعر بهـا النائـم نقـوم بهـا في تحركاتنـا ،وهمـس متبـادل بيننـا لا يسـمعه أحد.ليـس هنـاك إلا نقيـق الضفـادع الرتيـب ،حفيـف اوراق الشـجر واوراق الـذرة مـن فعـل هـواء خفيـف يجتاحها،البيـت يبـدو نائمـا

تماما، لا أثر يدل علي أي يقظة فيه ،لا صوت لا ضوء ،أشرنا الي بعضنا بالتفرق ،فليذهب كل الي مكانه ، عند زاوية البيت وقفت أنا وعزيز ،كان هو اطول مني ،امسك السلم الحبالي والقاه بحذر الي سطح المنزل ،احدث صوتا تافها لا يكاد يسمع ولكنه بالنسبة لنا كدوي مدفع في هذا الصمت ،سقط السلم دون أن يشتبك بالعمود ،صمتنا لحظات لنري أو نسمع أي حركة من داخل البيت ، محاولة ثانية، الأيادي مرتعشة ،ربما لو كنا في موقف آخر ووقت آخر لاقاه عزيز الماهر طويل القامة دون أن ينظر ولاشتبك السلم بالقضبان ،ولكن .. في المحاولة الثالثة اشتبك ،صمتنا قليلا أيضا ،لا صوت ولا أثر يدل علي أن أحدهم قد سمعنا ،أشرت الي عزيز وأمسكت بالحبل وبدأت أتسلق خطوة خطوة ،جسدي يحتك بجدار البيت ولكن بصوت مكتوم لا يمكن تمييزه ،القلوب تكاد تقفز من بين الضلوع ،خطوة خطوة ،هو مجرد طابق واحد تسلقت...وصلت ،استقريت فوق السطح وأشرت الي عزيز أن يختبأ،ثم نظرت نحو علي وزين في مخبأهما فوجدتهما ينظران الي ،نظرات اصدقائي الثلاثة ووجودهم حولي اكسبني قليلا من القوة في مثل ذلك الموقف ،تحركت علي أناملي فوق السطح ،الملئ بالغبار وبعض الظلط وبقايا بنيان قديم واعشاب جافة من تلك الموجودة في كل

مكان بالريف . لا شيء جديد أو ملفت للانتباه فقط يبدو سطح المنزل أن أحدا لم يطأه من فترة كبيرة من الزمن ، نحو السلم الداخلي للبيت تحركت خطوة خطوة أقدم ساقا وأؤخر ساق ،اتحري أين اضع قدمي, اضعها ثم انتظر, بعض الأعشاب تحدث صوتا عندما أدوسها ،ضربات قلبي تكاد تسمع في آخر القرية ، وصلت الي السلم الذي يقود الي داخل البيت الآن أنا علي أولي درجاته, قبل أن أنزل ,استلقيت علي الأرض ونظرت من السلم للداخل, ثمة اضاءة ضعيفة جدا غامضة في البيت لا أعرف لها مصدرا ,من المؤكد أنها لا تأتي من ضوء النجوم اوالقمر الغير موجود أصلا ,ولكنها موجودة ، أعتقد أنها تلك اللمبة الضعيفة الموجودة بكثرة في كل البيوت ،اللمبة السهاري التي تضاء في صالة البيت ليلا بينما الكل نائم.توقفت قليلا التقط أنفاسي وافكر ،حتي الآن مرت الأمور بسلام ،تري هل اعود عن تلك المغامرة ،أم اكمل حتي النهاية ،لا... لن اعود, الف سبب يدفعني للاكمال ،اولها مصير الفتاة المختفية التي ربما اكتشفت سره من هنا ،وليس اخرها منظري أمام نفسي وامام اصدقائي إذا جبنت في اللحظة الاخيرة وعدت وأنا أصلا صاحب الفكرة من البداية ،إذا فلتكن المغامرة حتي النهاية.

اولي الدرجات ،بوم...

الثانية ،بووم....

الثالثة, بوووووم

لا أحـد يسـمع صـوت قدمـي ولكـن.. هكـذا عقـلي يهيـأ لي في تلـك اللحظـة ،هـذه ضربـات قذفـات قنابـل الالمـان عـلي لنـدن اثنـاء الحـرب العالميـة الثانية,بـوم ..بـووووم ,اقذف...تقـدم ...ثـم ...بـوووووووووووم

هـذه السـلمة الاخـيرة ،أنـا الآن في قلـب باريـس الحـرب العالميـة الثانية،عـلي أن اواجـه النازيسـت ،في الواقـع لا يختلـف جـاد نفسـه كثـيرا عـن اولئلـك السـجناء التعسـاء الذيـن كان اطبـاء النازيسـتت يجـرون عليهـم كل التجـارب اللادميـة الممكنـة ،ويتركونهـم وقـد اصبحـو بقايـا بشر،بعضهـم يعـاني اشـد أنـواع المـرض العقـلي أو النفـسي طـرا.

توقفـت لحظـات وارهفـت سـمعي لاقـصي درجـة ،أمامـي ممـر ضيـق هنـاك في اخـره بـاب عـن اليمـين ،خمنتـه ،هـو بـاب الصالـة التـي قابلتـه فيهـا ،وعـن اليسـار هنـاك بـاب ،تقدمـت قليـلا... قليـلا عـلي اطـراف اصابعـي ،حاولـت أن اقلـد فراشـة الحقـل التـي تطـير بـلا صـوت ،هنـاك مائـدة صغـيرة موجـودة عـلي جانـب الممـر ،اعرفهـا ولكـن التمثـال الـذي رايتـه مـن قبـل ،ليـس موجـودا فوقهـا ،اتحسـس موضـع اقدامـي جيـدا, اعتـادت عينـاي الضـوء الخافـت

الموجـود في الممر،أعتقـد أنـه قـادم مـن فتحـات ومـن عقـب البـاب الخشـبي الايـسر ،تقدمـت قليلا،فجـاءة سـمعت صـوت بـاب ينفتـح ،قنبلـة انفجـرت في هـدوء المـكان وانفجـرت في وجهـي،لا... ،لم يكن أحـد بـابي الممرالـذي سـمعته يفتـح ولكـن أعتقـد أنـه بـاب داخـلي في الناحيـة اليـسري مـن الممـر ،تسـمرت مـكاني قليلا ،تجمـد الدم في عروقـي ،وتوقـف عقـلي عـن العمـل تمامـا ،هـذه لحظـة مسـتقطعة مـن الزمـن ،لحظـة فـراغ ،اصبحـت تمثـالا ،توقعـت أن اجـده في وجهـي بعينيـه الغاضبتـين الغريبتـين ،هـذه المـرة لـن يكـون هادئـا, مجـرد رؤيتـه في تلـك اللحظـة كفيلـة بـان تجعـل قلبـي يتوقـف رعبـا ،ولكـن البـاب لم يفتـح ولم يخـرج منـه أحـد ،إذا فقـد افـادني التجمـد للحظـات في مـكاني وعـدم الفـرار سريعـا, ،ربمـا لـو تصرفـت بسرعـة وعـدت الي السـلم لاصدمـت بـشيء مـا هوليـس موجـود ولكنـه يوجـد مـن فـراغ في تلـك اللحظـات التعسـة واحدثـت جلبـة اسـمعت المـوتي في الضفـة الشرقيـة للنيل,ارهفـت السـمع ،صـوت خطـوات خفيـه تبتعـد قليـلا عـن البـاب ،الآن أنـا متاكـد أن هنـاك شـخص مـا في البيـت وهـذا الشـخص مسـتيقظ. إلا اكتفـي بذلـك واعـود ؟ا

لاااااا،وماذا عن الرجولة والبطولة أمام الأصدقاء؟

ومـاذا عـن ذلـك الفضـول الـذي ينشـب مخالبـه في عقـلي؟ اريـد أن

افهم.. اريد أن أعرف ..

ثم ماذا عن مصير تلك الفتاة الذي - ربما - كان متعلقا بهذه اللحظات؟

كل تلك التساؤلات جعلتني اثبت مكاني بل واتقدم خطوات نحو الباب الايسر ،خطوة ...خطوة أخري،صوت شخص قادم من الداخل،لا يوجد هنا سواه,هل يحدث نفسه ؟أعتقد أنه..... احم ,لا أعرف ,هو بالفعل مجنون ,ليس هذا سبابا بالنسبة له. لم اتبين الكلام جيدا ،اقتربت أكثر ،الباب المغلق ،يحول دون السماع جيدا،من ثقب صغير في الباب نظرت الي الداخل ،يبدو أنه موجود في غرفة داخل الغرفة ،هل اخاطر وافتح الباب ،واقترب أكثر؟

لا... الأمر لايحتمل الاقتراب أكثر, فلابقي مكاني واتلصص وارهف سمعي بقدر الامكان أحاول أن اتبين اطراف الحوار اطراف الحوار؟؟؟؟

هل جننت أنا أيضا ,اقصد اتبين ماهية الكلام الذ يقال في الداخل.احنيت ظهري وضعت اذني علي ثقب الباب استمع ،كان جاد من يتحدث ،لم يكن غاضبا ،لم يكن حذرا ،لاتستطيع أن تحدد نبرات صوته ولاتعرف مشاعره وهو يتحدث،لكن صوته هده المرة جاء واضحا ,محددا وقاسيا :

-أنا قلتلتها .

-الجملة ازهلتني ,زلزلت كياني للحظات كدت انفلت من نطاق الحذر الشديد الذي اتبعه واقتحم الغرفة لاري ما يحدث ,ولكني فضلت أن ابقي لافهم أكثر,استعدت عقلي وسريعا قدرت موقفي ,ظللت متجمدا مكاني وواصلت الصمت والاستماع .

القي جملته المقتصبة كقنبلة وجاء الرد من صوت آخر,صوت انثوي,جاء ضعيفا واهنا ,كانه قادم من اعماق سحيقة,غاضبا,مستنكرا ولكنه مكسور :

-لماذا ؟لماذا قتلتها ؟

انتصبت ،تجمد الدم في عروقي تماما ،وقف الشعر الموجود علي مؤخرة عنقي،هذه درجة اثارة ورعب لم اصل إليها من قبل ولم أعتقد أنها موجودة في حياتي ،هذه قنبلة هيروشيما وقد انفجرت في وجهي ،عقلي يقول لي :

-لا افهم ،لا افهم ،لا افهم.

جدران هذا البيت من المفروض أن تضم شخصين فقط ,جاد وأنا وهناك أيضا تلك القطة المخيفة صوت من هذا إذا ؟ وعمن يتحدث عندما قال أنه قتلها ؟هل يقصد أنه قتل الفتاة ؟

تخيلت المشهد كله ,جاد وقد التمعت عيناه بنظرة جنونية -من قال أن هذا شخصا عاقلا ,متزنا نفسيا أو عقليا .

جاء رده بهدوء ,ببرود, بصوت فيه اقتناع تام بانه فعل الصواب وان من حقه أن يفعل ما فعل :

-لقد بدأت تزعجني بنظراتها,وتلاحقني ,اشعرانها تعرف سر ما وتريد أن تحدثني عنه .

جاء الصوت الآخر واهنا تماما,مستسلما ,حزينا ,منكسرا :

-لكني كنت احبها,كانت صديقتي الوحيدة التي تسليني ,أنا ما صدقت وجدتها.

رد بنفس البرود وبنفاد صبر :

-قتلتها وانتهي الأمر ,وها هي جثتها .

سمعت صوت ارتطام شيء بالارض ، تلاه صرخة واهنة ضعيفة ندت عن صاحبة الصوت ثم صوت نهنة تدل علي بكاء تحاول أن تكتمه. جاء صوت جاد :

-يجب أن نرحل من هنا .

-لا رد .

-اكمل : بالامس جاؤا يحومون حول البيت ،أحدهم كان مختبأ في الحقول ،لا أعرف سببا لحضروهم أعتقد أنهم يشعرون بشيء.

كادت تبدر مني اهه دهشة عالية ،إذا كان يعرف ،ليس كما توقعنا،هذا شخصا ليس سازجا ولا هينا أبدا ،كيف عرف ،ظنناه اقل ذكاءا .

وصلت لاقصي درجات الانتباه وارهاف السمع اريد أن اتاكد أن ما سمعت ليست اوهام سمعية اصابتني بسبب الوضع الاستثنائي الموجود فيه .ساد الصمت قليلا ثم اكمل :

-أعتقد أن الأمر لن يتوقف عند ذلك ،ربما وجدنا قريبا بعضهم قادم هنا ،اوحتي جاءت الحكومة لتفتش البيت فلنرحل من هنا سريعا .

-ارحل أنت, أنا لن ارحل.

لحظة ...لماذا أشعر أن هذا الصوت متكلف؟ لماذا أشعر أن صاحبته أو صاحبه لا يتحدث بطبيعته ،

الآن تاكدت أن كل ما سمعته حقيقي ،ليس هلاوس سمعية ، المشكلة أن هذا الصوت الانثوي غريب جدا,غريب حقا ..هممممممم,كم كنت اعشق روايات الرعب وافلام الرعب ,فجأة اضاء عقلي بالحل,أنا الآن اشهد بنفسي رواية هي الاشهر والانجح علي الاطلاق لعبقري السينما الامريكية ,هيتشكوك .

-لم يكن وضعها المادي جيد ,اختلست النقود من الشركة

وفـرت,ارادت الفـرار بعيـدا حتـي لا يعـثر عليهـا أحـد ,أنـت تعـرف امريـكا ,دولـة شاسـعة ,كل ولايـة فيهـا بمثابـة دولـة لهـا قوانينهـا الخاصـة ,ارادت أن تبـات ليلتهـا في ذلـك النـزل شـبه المهجـور في الطريـق ,هنـاك قابلتـه ..صاحـب النـزل ,شـاب لطيـف ودود,احسـت بلطفـه معهـا ,لكـن والدتـه العجـوز الغريبـة القابعـة في شرفـة المنـزل لا تتحـرك ,تعنفـه وتطلـب منـه إلا يتقـرب منهـا ,عجـوز شـمطاء غيـورة عـلي ابنهـا ,بـل وتـاتي بنفسـها الي النـزل ليـلا وتدخـل الحـمام وقـت اسـتحمام البطلـة لتسـدد لهـا طعنـات قويـة قاتلـة ,ووقتهـا تكتشـف البطلـة أن هـذه العجـوز هـي..... حسـنا لا أعـرف هـل اصيبـت بالزهـول وهـي تمـوت أم مـاذا ,ولكننا كمشـاهدين لم نعـرف الحقيقـة إلا في آخـر الفيلـم .طبعـا خمنـت عـما اتحدث.عـن اشـهر افـلام هيشكوك.سـيكو ,وبالطبـع عرفـت مـاذا اقصـد هـا هنـا .أعتقـد أن نفـس القصـة تتكررمـع اختـلاف الاعـمار وصلـة القرابـة .

المشـكلة الآن هـي الوضـع الـذي اواجهـه والـذي يتلخـص في الاتي : أنـا متسـلل في بيـت المفـروض إلا يوجـد فيـه إلا شـخص واحـد هـذا شـخص هـو مريـض عقـلي ,غريـب الأطـوار يتحـدث عـن جريمـة قتـل قـام بهـا وثمـة شـخص ولـد مـن عـدم يـرد عليـه, الآن أنـت

عرفت وضعي تماما.

- لم أكن جبانا قط ولم يكن قلبي ضعيفا ،لم أكن شابا تافها ولا مرفها ،كنت عكس ذلك ورغم كل ذلك فإن الفكرة التي جالت بخاطري عن هوية من يحدثه جاد وعن الطفلة القتيلة ،جعلت قلبي يكاد يتوقف من الرعب ،قضت تماما علي آخر ذرة شجاعة لدي ،لقد خرج الامرتماما من نطاق الشجاعة وعدم الخوف من اقتحام بيت اومواجهة شخص غريب الأطوار قد يحمل بعض الخطورة الي بعد آخر ,لقد دخلنا في نطاق الميتافيزيقا .

الآن ليس أمامك إلا أن تفر ،اهرب بجلدك ،وبقلبك قبل أن يتوقف ،فر وكأن شياطين الجحيم تطاردك ،فر وكأن وحوش الأرض تريد قبض روحك ،نعم تراجع للخلف خطوة... خطوة...لا ,ليست خطوات بطيئة حذرة ,ليس لدي رفاهية الوقت لاحذر,كانت خطواتي سريعة مرتبكة متعثرة.ما هذا؟ المائدة...,لقد اصطدمت بها ،ليس هذا وقت الحذر ،تراجع...

تراااااااجع.....

منذ قليل كانت المسافة من اول درجات السلم الي موضعي الآن لاتتجاوز ثلاثة امتار فقط لا تزيد ,منذ متي اصبحت بهذا الطول ؟

اه ...الآن قد وصلت ,قدمي علي اول درجة من السلم ،استدر وانظر أمامي حتي لا اتعثر واسقط وعندها أكون وليمة دسمة لسكان هذا البيت اللعين .

ماذا ؟ أنت تحذرني بأني احدث جلبة ؟

-لا يهم اطلاقا ...أعتقد أنك لم تلم بوضعي جيدا فيما يبدو ،ليس لدي الوقت التي يسمح لي بالتسلل والحذر ،الآن هدفي من تلك الحياة هو فقط الفرار من هذا البيت ،فجأة وبعنف فتح الباب الخشبي من خلفي ,القيت نظرة للخلف وأنا علي في منتصف السلم رأيته بوضوح يرمقني بنظراته من هناك .

أنت لم تري الشيطان من قبل ؟حسنا سوف اصفه لك فيما بعد.أنه من أري الآن ,يالا الليلية الجهمنية السوداء التي لايبدو لها نهاية ،وجدته ينظرالي بعينين يملؤهما الغضب ،عيناه مخيفة في النظرات العادية ولك أن تتصور وهو غاضب كالشيطان كيف يبدو،فقط وقف لينظر لم يحرك ساكنا ولم يتوجه نحوي وحتي لم يتفوه بكلمة واحدة .

-الآن قد حسم الأمر ،اوليت الكل ظهري وقفزت السلم في درجات،اصبحت فوق السطح ،هذا هو ضوء النجوم ،في قفزتين كنت عند السلم الحبال السلم ،لا ،لن اتسلق درجة درجة،فلاقفز،تحذرني أني اخاطر بكسر قدمي ،هههه...هذه

رفاهية مقارنة بما قد يحدث لي في هذا البيت ،امسكت السلم وقفزت مرة واحدة دون حذر الي الأرض ،منظري وقفزتي اثارا ضجة كبيرة واثارا قلق وخوف اصدقائي فتخلو عن حذرهم واسرعو نحوي يتساءلون :

-ماذا هناك ،ماذا حدث في الداخل ؟؟؟

تخل الكل عن حذره ،لم ارد ،لحسن الحظ جاءت قفزتي علي أرض رخوة كما أن امساكي بالحبل قلل من عنف صدمة السقوط ،كل ما قلته وأنا اسرع كالشيطان هاتفا بصوت مرتفع وبلاحذر:

-اجرومن هنا ،اسرعو ،ابتعدو ،فروا, فروا

-انطلقت الاقدام نحو القرية باقصي سرعة ،لا توجه محدد،كنت أنا في المقدمة لذا كنت اقودهم ،اجري واجري ،لا أعرف احدا في التاريخ جري بتلك الكيفية ،انطلقت أنا وكأن شياطين الجحيم تطاردني،واثار هذا الكم من الرعب رعب اصدقائي فتبعوني بنفس الكيفية،عقلي بدا يعمل بعد أن ابتعدت عن بيت جاد ،الي أين إذا الذهاب ،لا بيوت ولا يجب أن يرانا أحد الآن ،ليس هناك إلا مكان واحد نستطيع أن نقصده ،مكاننا المفضل عند مدخل القرية ،عشر دقائق تقريبا من الجري المتصل حتي وصلنا ،ولكن متقطعي الانفس.

القيت نفسي علي اللوح الخرساني الذي اتخذناه مجلسا لنا،جلس الآخرون حولي ،الانفاس متسارعة والعرق يغرقنا والحيرة وعدم الفهم يقفز من العيون،لحظات مضت حتي استرد الكل انفاسه،انتظرو أن احكي لهم كل شيء ،وقد بدأت اتكلم بصعوبة في البداية خرجت مني الكلمات متقطعة ،بفعل تسارع الانفاس ،بفعل الجري ،بفعل الاثارة البالغة لما رايت .انتهيت من قصتي ونظرت أري تاثير ما قلت علي الوجوه . نظرات الذهول علي وجوه الجميع ،لحظات مرت في صمت مابعد الصدمة ،ثم القي أحدهم السؤال الذي كان علي الالسن ولكن الخوف من الاجابة منع التلفظ به .

-مع من كان يتحدث ؟وهل قتل الفتاة فاطمة بالفعل ؟

اقتربت منهم وقلت بهدوء وأنا اتلمس طريقي لايصال فكرتي :

-من شاهد فيلم سيكو ؟

اشارات تعني لا واشارات تستغرب السؤال ,الرد الايجابي الوحيد جاء من عزيز ,نظرت اليه وسألته :

هل فهمت ما اقصد ؟

-تقصد أنه كان يتحدث مع .....

تدخل أحدهم بنفاذ صبر :

-هل يمكن أن يفهمنا احدكم ما يحدث؟ليس لدينا وقت

للالغـاز .

رد عزيز ،

-لا يوجـد شـخص آخـر في هـذا المنـزل ,الرجـل في الواقـع يتحـدث مـع نفسـه .

-والصوت الآخر الانثوي؟

-هو أيضا.

شـهقات اندهـاش واسـتغراب خرجـت مـن الحناجر,بسرعـة اوضحـت مـا أفكـر فيـه ,جـاد مصـاب بانفصـام في الشـخصية ,لـو تلاحظـون حالتـه تدهـورت جـدا بعـد مـوت عمتـه ,أعتقـد أنـه لم يسـتطع الاسـتغناء عنهـا ولم يتجـاوز هـذه النقطـة في حياتـه أبـدا فعـاش في البيـت بشـخصيتين ,هـو وعمتـه .

-ما هذا الذي تقول ؟؟؟؟؟؟؟

-خياااااااال .

-استحاااااااالة ,من يصدق هذا .

معظـم الوقـت كان زيـن صامتـا ,كان يفكـر في شيء مـا ,قاطـع كلامنـا قائـلا :

-هل تناسيتم وجود كائن آخر مع جاد في المنزل ؟

-من تقصد ؟؟!!!

-ليس هناك من يعيش معه إلا.....

اقترب منا وكانه ينطق بتعاويذ تجلب الشياطين واكمل :

-القطة السوداء.

خرجت من الحناجر شهقات فزع واتسعت العيون رعبا،وبدا أن خيالنا قد وصل لمراحل لا يفكر فيها أحد ،اعتراضات،استنكار للفكرة ،ومع النقاش بهدوء بدا أنه احتمال لابد من التفكير به .

-اقشعرت الابدان وملأ الرعب النفوس والاعين ،كم مرة سمعنا من امهاتنا وجداتنا عن البشر -وخاصة الأطفال والاخص منهم التواءم- الذين يتحولون في الليل الي قطط تسعي بين البيوت ،كم مرة نهتك والدتك اوجدتك عن ايذاء قط صادفته في البيت أو في الشارع لانه ربما كان انسان تحول ليلا ،.كم مرة سمعت منهم عن ذلك الطفل الذي جرحت ساقه أو اصيب اصابة وهو هائم كقط علي وجهه في الليل لأن أحدهم ازاه واستيقظ اهله في الصباح ليجدو آثار الاصابة،هذه قصص نسمعها بغزارة متداولة جدا في قريتنا .ولكنها ورغم كل شيء تبقي قصصا ،لاتتجاوز في عقولنا نحن الشباب المتعلم في القرية كونها قصص مسلية خرافات ليس أكثر،لا دليل مادي عليها

أبـدا ،ولكنـي الآن في خانـة ضيقـة جـدا ،ليـس أمامـك إلا أن تقتنـع بذلـك والا اعطنـي حـلا منطقيـا مختلفـا .

صمت

صمت

قطع علي الصمت قائلا :

-يبـدو اننـا جننـا جميعـا ,فيـما تفكـرون ؟؟؟هـل نسـيتم الفتـاة التـي يبـدو أنهـا ضحيـة كل ذلـك ؟

نظرنا اليه ببطئ فاكمل :

-الآن لنتجـاوز تلـك النقطـة وليحتفـظ كل منـا بقناعاتـه ،السـؤال هـو:: ماالخطـوة القادمـة ؟يجـب أن نتـصرف بسرعـة ,يجـب أن نعـرف مصـير الفتـاة .

القـي عـلي الجملـة وهـو ينظـر الي وجوهنـا ويتعجلنـا ويحثنـا عـلي التصرف,فامـن بعضنـا عـلي كلامـه :

-نعم هذا هو السؤال .

لابـد مـن تدخـل الشرطـة في الأمـر ،عـلي الاقـل العمـدة والخفر،أنت تتحـدث عـن جريمـة قتـل هنـا ,يجـب أن نتحـرك ونتـصرف باقـصي سرعـة .

وبالفعـل قسـمنا انفسـنا الي قسـمين :اثنـان يذهبـا ليخـبرا العمـدة واثنـين ينطلقـا الي نقطـة الشرطـة في القريـة المجـاورة .

الدراجة ليست حلا سريعا في تلك اللحظة ,لنذهب الي منزل اقرب مالك سيارة أجرة في القرية ,الوقت المتاخر من الليل الآن,الجو العام الذي سبق أن وصفته لك ,الطريقة التي طرقنا بها الباب كل ذلك جعل الرجل يخرج مندهشا متضايقا,خائفا وينظر لنا بعيون يملؤها الدهشة والتساؤل .لم نطل الكلام معه ,اخبرته فقط أن يقودنا الي نقطة الشرطة وان الأمر يتعلق باختفاء الفتاة فاطمة .

لم يطل الحديث ,دقائق قليلة وكانت السيارة الربع نقل التي تمثل وسيلتنا للتنقل من والي المدينة تنطلق الي نقطة الشرطة . في نفس الوقت كان الاخران قد طرقا منزل العمدة واختصرا كل الحديث في جملة واحدة:

-جاد اختطف الطفلة فاطمة وقتلها وهو الآن يحاول الهروب .

جملة بليغة فجرت بركان من النشاط في بيت العمدة,ذهب ثلاثة من الخفراء واصطحبناهم الي بيت جاد بينما حاول العمدة الاتصال بنقطة الشرطة القريبة وقسم الشرطة في المدينة .

وصلنا مع الخفر الذين كانو غير فاهمين ,غير مستوعبين للامر ,يضربون كفا بكف ,ويتساءل بعضهم عن كيفية وسبب اختطاف جاد للطفلة الصغيرة ,بينما يبرر الآخرون ذلك

بالجنـون ,الجنـون الـدي يـبرر في وجهـة نظرهـم ارتـكاب أي جريمـة في العـالم .

-عنـد البيـت وقـف الثلاثـة مـن أكـثر مـن جهـة وكنـا معهـم ,نظـرو بشـك وترقـب نحـو البيـت الصامـت ,دون أن يحركـو سـاكنا أو يحاولـو اقتحـام البيـت ,كانـت تلـك هـي اوامـر العمـدة .بعضهـم شـعر بدهشـة شـديدة مـن هـدا الهـدوء المريـب ,بالطبـع لم تكـن القريـة تعتـاد جرائـم القتـل ,لـذا تصـور بعضهـم وخاصـة الصغـار منهـم أن جريمـة قتـل تعنـي صراخـا وضجـة هاءلـة ,ربمـا تصـور أن القريـة كلهـا سـوف تتجمـع هنـا ,ربمـا تصـور كذلـك أن قطـار القاهـرة الـذي يمـر أمـام قريـة مجـاورة قـد يغـير اتجاهـه ويمـر مـن هنـا .

أنـت تتحـدث هنـا عـن جريمتـي اختطـاف وقتـل وليـس عـن خلاف عـلي مـن يسـقي ارضـه أولا .

كان عزيـز واقفـا معهـم ,فيـما بعـد اخـبرني أنـه شـعر للحظـة بحركـة مريبـة في الحقـول القريبـة ولكنـه لم يهتـم وركـز انظـاره مـع الاخريـن عـلي البيـت .أن هـي إلا دقائـق قليلـة واسـتيقظت القريـة كلهـا وتـوالي النـاس تباعـا الي بيـت جـاد ليشـاهدو الأحـداث الرهيبـة مـن وجهـة نظرهـم التـي تجـري هنـاك .

كان مـن بـين الحضـور الخفـير العجـوز حـارس فيـلا الدكتـور عمـر

الـذي لم يعتـد اطلاقـا أن يـترك الفيـلا ولكنـك لا تتحـدث هنـا عـن حـدث عـادي ,وكان أيضـا محمـد ووالـده واخيـه الصغـير .

وصلـت أنـا مـع ضابـط الشرطـة الشـاب ومعـه ثلاثـة جنـود كلهـم مسـلحين ,في الطريـق افهمتـه باختصـار الموضـوع وكان هـو يعـرف مسـبقا موضـوع اختفـاء الفتـاة ,عنـد البيـت وكانـه يـوم الحـشر ,كل اهـالي القريـة محتشـدين حـول البيـت ,لا أعتقـد أن كلبـا ضـالا غـاب عـن ذلـك الموقـف .

نـزل الضابـط الشـاب بملابسـه الرسـمية مـن سـيارة الشرطـة الزرقـاء المميـزة ,تتابعـه نظـرات الجميـع بترقـب ,عـلي الفـور جـاء العمـدة نحـوه ,طلـب منـه الضابـط أن يعطـي الاوامـر لخفـراؤه بابعـاد النـاس عـن هنـا حتـي يتمكـن مـن العمـل مـع رجاله,ابعـد الخفـراء النـاس بخشـونة وهـم يطلبـون منهـم العـودة الي منازلهـم حتـي تتمكـن الشرطـة مـن القيـام بواجبهـا ,اصـدر الضابـط لجنـوده بعـض الاوامر,اقـترب أحدهـم مـن البـاب ,طرقـه مـرة ...مرتـين ,بعنـف مـرددا بصـوت مرتفـع :

افتح الباب ..حكومة .

لا صـوت هنـاك ولا أحـد يفتـح مـن الداخـل ,كنـت واقفـا بجـوار الضابط,نشـأت بيننـا صداقـة سريعـة في الدقائـق التـي تعارفنـا فيها,توسـم في أني مثقـف ومختلـف عـن الاخريـن ,سـمح لي

بالاقـتراب والمشـاهدة عـن قـرب .

نظـر الجنـدي الـذي يطـرق البـاب الي الضابـط منتظـرا الاوامـر بعـد أن طـرق أكـثر مـن مـرة دون مجيـب ,فاشـار الضابـط الي آخـر اشـارة بيـده فاقـترب مـن البـاب هـو أيضـا ,وبـدء الاثنـين يحـاولا اقتحـام البـاب بعنـف,كان بابـا خشـبيا عتيقـا ولكنـه متـين جـدا, بعـد أكـثر مـن محاولـة ,انكـسر قفـل البـاب بعنـف واحـدث فرقعـة هائلـة في سـكون الليـل ,ووجـد الجنديـان نفسـيهما داخـل صالـة البيـت الواسـعة ,أشـار الي الضابـط لـو اردت أن ادخـل معـه ,بصفتـي المبلـغ والشـخص الوحيـد هنـا الـذي دخـل هـذا البيـت ,لم اكـذب خـبرا ,مشـيت خلفـه ,بحـذر وترقـب .

شـاهرا مسدسـه ومثلـه جنـوده الاثنين ثـم أنـا ,دخلنـا الي البيت,لقد وصفـت لـك الصالـة مـن قبـل ,لا داعـي لتكـرار الـكلام ,لا جديـد هنـاك فيهـا ,اشرت الي البـاب الآخـر المـؤدي للداخـل نحـو الضابـط فاشـار الي الجنـود أن يتبعـوه ,مـد يـده اليـه فانفتـح بسـهولة ,القـي نظـرة الي الداخـل ,الطرقـة الطويلـة المؤديـة الي السـلم وفي اولهـا بـاب داخلي,بـكل هـدوء وحـذر تتـم عمليـة الاقتحـام ,لا أثـر لاحـد ولا شيء حتـي الآن ولكـن ,ثمـة صـوت ..صـوت بـشري .توقـف الضابـط واشـار الينـا أن نصمـت ,اصغينـا السـمع ,صـوت انـين قـادم مـن بعيـد مـن خلـف البـاب الايـسر ,تقـدم الخطـوات

القليلة الفاصلة من الباب ومد يده اليه ,ثمة مقبض قديم اداره بهدوء ,انفتح الباب الغير مغلق أيضا,ادخل راسه ينظر للداخل ظلام ,لا يري شيئا منه ,مد يده الي أحد الجنود مشيرا بعلامة ما ,اخرج الاخير من ثيابه بطارية وقدمها له ,فتح الضابط ضوءها ,وقلبه في الغرفة حتي وجد زر الاضاءة ففتحه ,حتي الآن لم يكن إلا هو من يري ما في داخل الغرفة ,صوت الانين ارتفع واتضح واقترب ,دخل الي الغرفة بهدوء واشار الينا ,دخلنا وراءه بحذر أيضا ,في الداخل كانت الغرفة خالية أيضا ,خالية من أي اشخاص ولكن بها بعض الملابس الملقاة هنا وهناك وكراكيب واشياء أخري ,ولكنها غير مزدحمة ,الجدار المقابل للغرفة غريب البنيان ,بني بطريقة بدائية تماما ,غير منتظم,هو حتي لا يصل الي السقف ,عندما تنظر للسقف تدرك أن هناك غرفة أخري ضيقة طويلة وكانها ممر تم فصلها بهذا الجدار, الذي من المؤكد أن من بناه ليس من بني باقي البيت اطلاقا ,ربما كان هو جاد بنفسه من بناه ,في طرفه باب ضيق أيضا يكفي بالكاد لمرور شخص واحد غير بدين ,ومن خلفه ياتي صوت الانين المتقطع.نظرنا لبعضنا وللباب ,ها قد اقتربت اللحظة الاخيرة ,لحظة كشف سر هذا البيت .

-شهر الضابط سلاحه الذي كان قد ارخاه في يده واقترب من

الباب ثم صاح بصوت عالي مزق استار الصمت :

-من هناك؟ افتح الباب ...حكومة .

لم يرد أحد ولكن الصوت البشري اتضح جدا ,نفس الصوت الذي سمعته من قبل يحادث جاد ،

-أنا هنا ,الحقوني .

أنا الوحيد الذي شعر بالرعب لمعرفتي السابقة بالبيت وبساكنه,الضابط والجنديان لم يكن هذا شعورهما ,ليس لديهم خلفية كاملة بمن يوجد في هذا البييت ,اقترب الضابط من الباب وهو يقول :

-انتظري قليلا,أنا قادم ,هل معك أحد آخر ؟

كان يتحدث وهو يتقدم ونحن خلفه ,فتح الباب واضطر للدخول عرضيا لضيقه ,حشر جسده حتي دخل الغرفة ,بمجرد فتح الباب هبت رائحة كريهة في وجوهنا جميعا ,بمجرد دخوله ,اطلق صيحة عالية ,صيحة دهشة وغضب ,سوف يكون من الصعوبة دخول الجنديين بملابسهما الثقيلة وبحجمهما الضخم .لم أتمالك نفسي فاقتحمت الغرفة خلفه لاري ما هنالك ,وجدته واقفا مزهولا يقلب نظره في الغرفة ,نظرت الي ما ينظر..كانت تلك لحظة فارقة ...

لحظة الحقيقة ...

لحظة الزهول....

لحظة فهم ما لم يكن مفهوما...

كم كنت مخدوعا ,وكم كان فكري سائرا في اتجاه خاطئ,بل قل كم كنا مخدوعين جميعا ,فكرنا في اقصي احتمالات ميتافيزيقية وشطح خيالنا لبعيد وتركنا اكثرها منطقا .

الآن قد فهمت الحقيقة التي كانت اغرب منما وصل اليه خيالنا .

****

-نحن الآن في العام ١٩٩٤....

في بيت جاد ...

نظرت العمة العجوز الواهنة الي جاد وسالته بقلق :

-ماذا فعلت لك ؟ الآن اصبحت لا تطيقني يا جاد ؟ ماذا ستفعل؟هل ستقتلني ؟

لم يكن يواجهها وهو يتحدث بل كان واقف أمام النافذة,يراقب الحقول عاقدا يديه خلف ظهره,كان يطرح عليها موضوع قتلها وكانهما تناقشان حول قطعة الأرض المجاورة للبيت هل نبيعها أم نتركها ,بهدوء رد عليها :

-نعم ,سوف اقتلك يا عمتي

-لماذا؟؟؟؟؟؟؟

-اصبحتي تلحي علي في الزواج وانتي تعرفين موقفي ,اصبحتي تقعين في اخطاء فظيعة.

-حسنا لا تتزوج ولكن ماذا فعلت ؟

-دعك من كل ذلك ,أكثر ما يضايقني ,هم اولئلك الناس الذين يأتون لزيارتك من حين لاخر ,اقرباؤنا ,لا احبهم ولا اريد أن تطأ قدم أحد هذا البيت أبدا ,أنهم يأتون من اجلك ,ولكن إذا متي أنت فلن يات أحد .

-لم تبك ,لم تتوسل ,لم تولول ,كانت عجوز تنتظر الموت بدون شك,تعاني كثير من الضعف والمرض ولكن ردها أيضا وحجتها كانت غريبة :

-ومن سوف يغسل لك ثيابك إذا ؟من سوف يعد طعامك ويعتني بالبيت ؟ هل تريدهم أن يقولو أني مت وتركت دون عناية وتركت البيت مهملا ؟

-انتي سوف تفعلين ذلك يا عمتي .

ثم استدار إليها ونظر نظرة جنونية واكمل :

-ولكن بعد موتك.

****

من كان امامنا ,كانت عجوز ,واهنة ,ضعيفة جدا ,هشة جدا,جالسة في فراش قديم متسخ علي الأرض ,بجوارها بقايا

طعـام وقلـة ماء,نظـرت في اتجاهنـا ,عيناهـا غريبتـا الشـكل ,لا أعـرف هـل ترانـا أم أنهـا كفيفـة ,رائحـة الغرفـة لا تطاق,بجـوار العجـوز هنـاك قطـة سـوداء ملقـاة عـلي جانبهـا عـلي الأرض ,ميتـة وعيناهـا مفتوحتـان ,يبـدو أن شـخص مـا قـد خنقهـا حتـي المـوت ,يالبشـاعة ,شـعرت بالحقـد عـلي هـذا الكائـن المسـمي جـاد عندمـا ادركـت مافعـل بعمتـه وبالقطـة رغـم أني كنـت اخشـاها ,ادرك الضابـط الموقـف بسرعـة واعـاد سـلاحه بسرعـة الي غمـده واقـترب منهـا وهـو يشـير الي ويعطـي اوامـره الي الجنديـين :

-حاولا أن تهدما جزءا من الجدار يسمح بخروجنا باريحية .

ويبدو أنها كانت ترانا بالفعل فاشارت الينا قائلة بوهن :

-اخرجوني من هنا .

اقـترب منهـا الضابـط سريعـا وركـع بجوارهـا وأنـا اعاونـه عـلي الاطمئنـان عليهـا وتفقدهـا وتهدئتهـا بينـما بـدا الجنديـان يهدمـا جـزءا مـن الجـدار الغـير قـوي والـذي لم يصمـد أمـام كعـوب البنـادق القوية,قـال لهـا محـاولا طمأنتهـا :

-لا تخافي ياجدتي ,سوف نخرجك من هنا حالا .

تعاونـت معـه عـلي حملهـا برفـق شـديد ,شـعرت أنهـا مـن فـرط هشاشـتها ربمـا لـو امسـك أحدنـا ذراعهـا بقـوة لانخلـع في يـده ,اركبناهـا سـيارة الشرطـة ,ذهـب لبيـت العمـدة حتـي يتـم تدبـير

امورها اما م انظار سكان البلد الذين كانو في حالة من الصدمة والزهول غير مسبوقة.

كانت القصة واضحة الآن ,جاد لم يقتل عمته ولكنه حبسها في البيت واختلق قصة غرقها في النيل وانطلت القصة علي الكل الجميع فصدقو ,اربع سنوات كاملة والسيدة سجينة البيت ,فيما بعد قالت أنها في البداية كانت تتحرك وتقوم ببعض اعمال البيت تحت رقابته الشديدة وبعد أن مرضت بشدة مكثت في هذه الغرفة التي كانت بمثابة السجن كما اراد لها جاد .اظنها مرت بلحظات قاسية حقا .

انتهت القصة ولم تنته ,عرفنا سر جاد الذي يخفيه ووصلنا للسيدة العجوز وانقذناها ولكن جاد قد فر ,لا نعرف الي أين ذهب,والسيدة لا تعرف أيضا واظن أن أمامها وقت طويل لتستطيع تمالك نفسها والاستقرار وافادتنا بأي معلومات .ولكن يبقي اختفاء فاطمة قضيتنا الغامضة المستمرة ,لا أثر للفتاة حتي الآن .

الآن سوف نفتش عنها في جزء آخر ... الجن الأحمر ,ولكن تلك قصة أخري .

تمت .

شكر واعتراف بالجميل

هذه القصة قرأت من قبل عشرات الأشخاص قبل طبعاتها،وبالفضل أدين في الشكل النهائي لها لاولئك الذين بادروا بقرائتها وبالتحمس والتشجيع وابداء النقد والاراء الإيجابية ،كلهم تلاميذي واصدقائي ولهم اقول لكم مني كل الشكر والعرفان .

لا اريد أن أذكر أسماء حتي لا انسي أحد ،ولكنهم يعرفون انفسهم

-احمد عبد الرحيم

مدينة ٦اكتوبر ١٣-٨-٢٠١٧